بعض ملامح العلاقات الدولية وأثرها على عرب شمال شبه الجزيرة العربية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين

د / سميره بنت سعيد القحطاني
أستاذ تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم المشارك
بقسم التاريخ -كلية الآداب – جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

مقدمة:

لاشك أن الصراع والتنافس الدولي الذي شهده القرن السادس الميلادي انحصر بين الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، واتخذت العلاقات الدولية في أغلبها الطابع الحربي التنافسي بين الدولتين العظميين، وانتقل مسرح الحرب إلى بلاد العرب. وتهدف الدراسة إلى دراسة ملامح من العلاقات الدولية في تلك الفترة ، وكيف أثرت على منطقة شبه الجزيرة العربية، سواء في شمالها وجنوبها أو وسطها، كما أظهرت الدراسة تأثير العلاقات الدولية على علاقات الممالك العربية بعضها ببعض ، من جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وكذلك الأمنية.

وقد استعان كل من الطرفين المتنافسين بأطراف أخرى عربية وغير عربية، لتحقيق الأهداف التي يسعى كل منهما إلى تحقيقها والتي من أجلها دخل الطرفان في تنافس دولي وصراع طويل بلغ ذروته في القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين، وقد أخذ بعداً دينياً في ظاهره، في حين أنه في حقيقته يمثل أبعاداً أخرى سياسية واقتصادية، واجتماعية خطرة.

ونظرًا لأهمية الموضوع سيتم تقسيم الدراسة إلى عدة محاور كما يأتي:

-مفهوم العلاقات الدولية وتطورها التاريخي.

- الأوضاع الداخلية لعرب الشمال وسياستهم الخارجية خلال القرن السادس الميلادي.
- الأوضاع الداخلية للدولة الفارسية وسياستها الخارجية خلال القرن السادس الميلادي.
- الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية وسياستها الخارجية خلال القرن السادس الميلادي.
- بعض ملامح العلاقات الدولية من خلال الصراع البيزنطي الفارسي وأثره على حضارة عرب الشمال وعلاقاتهم السياسية والخارجية.

أولاً: مفهوم العلاقات الدولية وتطورها التاريخي

بدأت العلاقات بين البشر منذ أن خلقهم، وقد بدأت حياتهم بتكوين الأسرة الصغيرة التي هي نواة المجتمع، الذي تكون من مجموعة من الأسر الصغيرة التي كّونت مجموعات كبيرة بمرور الزمن، واحتاجت هذه المجموعات إلى تنظيم ورعاية وتوفير ما تحتاج إليه، ومن هنا أصبحت هناك حاجة ملحة إلى وجود علاقات، وروابط، واتصالات بين الشعوب، واتخذت طابعين: طابع السلم، وطابع

الحرب والصراع والتنافس، وكان هذا الطابع هو الغالب على علاقات أغلب الشعوب والدول خلال القرن السادس الميلادي، ومن هنا بدأ تاريخ العلاقات بين الدول منذ زمن بعيد.

والملاحظ أن العلاقات بين الشعوب تطورت، وارتبطت بتطور الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، والسياسية، وبتتبع الحضارات الإنسانية القديمة يتضح أن العلاقات كانت قائمة بين الدول منذ أقدم العصور، وكانت واضحة منذ عصر الحضارة الفرعونية، حيث كان الحكام الفراعنة يتبادلون الرسائل مع حكام وأمراء بلدان الشرق الأدنى القديم، وخاصة بلاد ما بين النهرين ومن خلال تلك الرسائل المتبادلة بين الطرفين تتضح طبيعة تلك العلاقات، سواء أكانت سلمية أم حربية، وعُرفت أسماء الحكام الفراعنة ومن كان يعاصرهم من حكام بلاد الرافدين.

وفي العصور الإغريقية والرومانية تنوعت تلك العلاقات ما بين العلاقات السلمية والحربية، والمعاهدات والاتفاقيات، واستمرت العلاقات والاتصالات بين الدول والشعوب، حتى جاء الإسلام ورسم خطوط العلاقات بين الدولة التي تقوم على الود، والاحترام، والسلام، والتعاون، وتجلى ذلك واضحاً في الكتب والرسائل التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم لزعماء وأباطرة البلدان المختلفة، يدعوهم فيها للإسلام، ثم تطورت تلك العلاقات واستمرت حتى الوقت الراهن، وأصبح التفاعل بين الكيانات الاجتماعية، والدولية أكثر فعالية، وأصبح هناك تأثير، وتأثر.

أما المقصود بمفهوم العلاقات الدولية، فقد تعددت المفاهيم وتنوعت، ويمكن إجمالها في أنها علاقات شاملة تشمل دولًا وجماعات مختلفة، رسمية وغير رسمية، بما فيها من اتصال وتواصل وتفاعل مستمر، سواء أكانت سياسية أم غير سياسية، حربية أم سلمية، ونتيجة لأهميتها برز علم العلاقات الدولية الذي يهدف إلى معرفة سلوك الأفراد والجماعات السياسية، لفهم القضايا والمشكلات الدولية، لإيجاد حلول مناسبة لها(١). ومن الملاحظ أن موقع شبه الجزيرة العربية الجغرافي في قلب القارة الآسيوية، قد سهل على عربها اتصالهم بالأمم المجاورة لهم، سواء أكان هذا الاتصال من جهة الشرق والشمال الشرقي، أم من الغرب والشمال الغربي، أم من الجهة الجنوبية الغربية، ونتج عن ذلك التجاور تبادل التواصل والتأثير والتأثر، ومن ثم علاقات متبادلة في جوانب متعددة، منها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وأيضًا الحربية.

وتُعد هجرة العرب من مكان لآخر، وانتقالهم المستمر من منطقة إلى أخرى أحد أسباب نقل المعرفة والأخبار عن العرب أنفسهم، ما ساعد في معرفة الأمم المجاورة لأخبارهم، كما أسهم في التأثير المتبادل، والاتصال، وتبادل العلاقات، ويمكن الاستدلال من خلال ما ورد في كتاب (فجر الإسلام) حيث جاء فيه: "لم يصل إلى أحد خبر من أخبار العرب والعجم إلا من العرب ، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العارية ، وأخبار أهل الكتاب، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة، فيعرفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الحيرة وجاور الأعاجم علم أخبارهم وأيام حمير وسيرها في البلاد وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني إسرائيل واليونان، ومن وقع بالبحرين وعمان فعنه أتت أخبار السند وفارس، ومن سكن اليمن علم بأخبار الأمم جميعاً؛ لأنه كان في ظل الملوك السيارة".[٢]

من خلال ما سبق يتضح أن العرب كانوا لا يستقرون في منطقة واحدة، بل كانوا ينتقلون من مكان لآخر، وأخذوا يتأثرون بحضارات من يخالطونهم، ويؤثرون فيها.

ثانياً: الأوضاع الداخلية لعرب الشمال وسياستهم الخارجية خلال القرن السادس الميلادي

ظهر في شمال شبه الجزيرة العربية في فترة الدراسة تكوينات سياسية عربية، ويطلق عليها ممالك أو إمارات، وكان أهمها إمارة الغساسنة على الحدود الشرقية للشام، وإمارة المناذرة على التخوم الغربية لنهر الفرات، وقد تأثرت هذه الإمارات العربية بالظروف والعلاقات الدولية خلال تلك الفترة، ولعل قيامهما على حدود القوى العظمى سبب من أسباب ذلك. (انظر الخارطة ١)

وقد ذكر الإخباريون أن الغساسنة[٣] قوم ينتسبون إلى قبيلة عربية هي قبيلة أزد العربية[٤] التي سكنت جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد هاجروا مع القبائل العربية التي خرجت من جنوب شبه الجزيرة العربية[٥]، عقب انهيار سد مأرب، وسيل العرم، وذلك في أواخر الألف الأول قبل الميلاد[٦]، وقد اختلفت الروايات حول تاريخ نزولهم بلاد الشام، حيث تذهب رواية إلى أن ذلك كان حوالي القرن الثاني أو الثالث الميلادي، واستقروا على مشارف الشام، بزعامة رجل يدعى جفنة[٧]، وذهب بعضهم إلى أن الغساسنة استقروا في بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الميلادي[٨]، واستقروا جنوب سوريا في مكان عرف ببصرى، وبجوار قبيلة عربية عرفت بالضجاعمة، من آل سليح التي كانت ترعى مصالح البيزنطيين في بلاد الشام، وسيطر

الغساسنة على عرب الشام منذ بداية القرن السادس الميلادي في عام ٥٠٢م تقريبًا[٩]، وهو الرأي الأرجح، واتخذوا من مدينة بصرى عاصمة لهم، وبمضي الوقت استطاعوا التغلب على قبيلة الضجاعمة التي كانت قد تغلبت على قبيلة تنوخ من قبل، ثم أصبحت عاصمتهم الجابية بمرتفعات الجولان[١٠].

عرف الغساسنة بهذا الاسم لنزولهم بجانب عين ماء عرفت باسم غسان، وشربهم منها[١١]، وذلك قبل أن يستقروا في الشام، وأطلق عليهم أسماء أخرى منها، آل ثعلبة نسبة إلى جدهم (ثعلبة بن مازن)، وعرفوا كذلك بآل جفنة، نسبة إلى أول ملوكهم (جفنة بن عمرو بن مزيقياء)[١٢].

والملاحظ أن الغساسنة بعد أن تغلبوا على آل سليح، أصبحوا مسيطرين على الأمور في بلاد الشام، وفي هذا يقول ابن حبيب: إن غسان عندما غلبت سليح خافت من أن تميل غسان إلى جانب الفرس، فأرسل إليهم بأنه يريد أن يجعلهم عمالًا لهم على بلاد الشام، وسيُكتب وبينهم كتاب ينص على أن يقوم الروم بمدهم بأربعين ألف مقاتل إذا تعرضوا لهجوم العرب، ويقوم الغساسنة بمد الروم بعشرين ألف مقاتل إذا دهمهم العرب، وألا يدخل الغساسنة بينهم وبين الفرس، وقبل الجميع وكتب كتاب[١٣].

والواضح أن البيزنطيين أرادوا أن يتخلصوا من هجمات القبائل العربية المتكررة على حدودهم، وليأمنوا طرق التجارة، فلم يجدوا أفضل من إمارة الغساسنة، التي تولت بعد انتهاء أمر آل سليح، المنطقة الواسعة الممتدة من مدائن صالح إلى شمال حوران والجولان، وشمل نفوذهم بعض القبائل[١٤].

واختلفت الآراء حول بداية قيام دولة الغساسنة، حيث رأى بعضهم أنها قامت خلال القرن الخامس الميلادي، واستمرت حتى ظهور الإسلام، كما اختلفت الآراء حول عدد ملوكهم وفترات حكمهم التي جعلوها تتراوح بين الأحد عشر حاكماً، والاثنين والثلاثين، ولعل السبب في هذا الاختلاف هو ضياع معظم آثار بني غسان، واختلاط أخبارهم بأخبار القبائل العربية التي وجدت في بلاد الشام قبلهم، إضافة إلى التركيز على التاريخ الحضاري والأدبي للغساسنة أكثر من تاريخهم السياسي[١٥]، وعُد أوائل حكامهم

مشايخ قبائل فقط، خلع عليهم البيزنطيون لقب فيلارخوس (Phylarchos) ويعني واليًا، ولقب باتريوس(Patrieus)بمعنى أب/بطريق [١٦].

وذهب بعض المؤرخين إلى أن أول من حكم من غسان هو (جفنة بن عمرو بن مزيقياء) [١٧] الذي استطاع أن يقضي على ملوك قضاعة، وبسط سيطرته على المنطقة، وذلك في فترة حكم الإمبراطور أنسطاس في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس[١٨].

ومن أشهر حكام الغساسنة الذين تولوا الحكم الحارث بن جبلة، والمنذر بن الحارث اللذان ذكرت أعمالهما في الروايات البيزنطية والعربية على حد سواء.

وفيما يتعلق بحكم الحارث بن جبلة، فقد كان مابين (٥٢٧ -٥٦٥م)، وعاصر خلال تلك الفترة عددًا من الحكام والأباطرة، منهم الإمبراطور الغساني جستنيان، وكسرى الفرس كسرى أنو شروان، ومن ملوك الحيرة المنذر بن ماء السماء[١٩]. وقد استطاع الحارث أن يظفر بعدد من الألقاب التي خلعها عليه الإمبراطور جستنيان التي كان أهمها لقب فيلارخوس، ولقب بطريق الذي كان يخلع على أشراف القوم، وذوي المنزلة العالية [٢٠]، ولم يمنحه لقب ملك، الذي كان مقصوراً على أباطرة الرومان [٢١]، ومن خلال ذلك يمكن الاستدلال على حسن العلاقات بين دولته وبيزنطة في تلك الفترة، كما أن الإمبراطور جستنيان أراد أن يدعم موقف الغساسنة بإعطائهم مثل هذه الألقاب، حتى يكونوا دولة قوية تقف في وجه غزوات البدو المتكررة والمستمرة على حدود بيزنطة، وحتى يكون باستطاعتهم الوقوف في وجه المناذرة والفرس عدو بيزنطة التقليدي، وذهب نولدكة إلى أن أمراء الغساسنة اتخذوا منزلة عظيمة في مراتب الإمبراطورية البيزنطية، وكان بقاء هذه المنزلة مرهونًا برضا المتبوع عن تابعه، ولاسيما أن سلطة الفيلارخ الغساني كانت مقيدة بسلطة الحكام الذين تعينهم السلطة المركزية هناك[٢٢].

وقد اعتنق الحارث النصرانية على المذهب المنوفيزي، وعمل على نشره حتى أضحت بشرى عاصمة دينية في عصره[٢٣]، إضافة إلى شهرتها التجارية، وامتدت دولة الغساسنة في عهده إلى الرصافة شمال تدمر، وشملت حران والبلقاء.

واستطاع الحارث أن يحقق الأمن في بلاد الشام، ويحافظ على استقرار الأمور لصالح البيزنطيين، في الوقت الذي كان فيه الإمبراطور جستنيان مشغولًا بالحرب في عدة مناطق، ومن أجل ذلك دخل في حروب ونزاعات مع دولة المناذرة، ووقعت بين القبيلتين العربيتين عدة معارك مهمة، منها معركة حدثت على مقربة من مكان يعرف بقنسرين، مدينة بالشام، في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، تقريبًا عام ٥٥٤م، وانتهت بمقتل المنذر بن قيس اللخمي ملك المناذرة[٢٤]، وجبلة بن الحارث أحد أولاد الحارث، وعرفت المعركة بيوم حليمة (مرج حليمة)[٢٥].

وخلف المنذر بن الحارث (٥٦٩-٥٨٢م) أباه الحارث بن جبلة في حكم الغساسنة، وحارب المناذرة، وتمكن في سنة ٥٧٠م من الانتصار عليهم في معركة عين أباغ [٢٦]، وذلك قرب الحيرة، وكان المنذر مؤيداً للمذهب (المنوفيزي) (اليعقوبي)، مما أدى إلى تدهور العلاقات بين البيزنطيين والغساسنة، وحاول الإمبراطور البيزنطي جستين الثاني في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الميلادي تدبير مؤامرة لقتله لكنه فشل؛ إذ أحس المنذر الأكبر بهذه المؤامرة، فهرب إلى البادية، وشق عصا الطاعة عن البيزنطيين لمدة ثلاث سنوات، الأمر الذي دفع المناذرة إلى استغلال الفرصة، وهاجموا سوريا وعاثوا بها فساداً[٢٧]، فاضطر جستين الثاني إلى عقد الصلح مع المنذر الأكبر ليحمي لهم حدود إمبراطوريته الجنوبية الشرقية، وأنعم الإمبراطور الجديد طيباريوس (٥٧٨-٥٨٢م) على المنذر بالتاج بدلاً من الإكليل، في أثناء زيارة المنذر للقسطنطينية سنة ٥٨٠م[٢٨].

ساءت العلاقات بين المنذر والبيزنطيين إثر فشل الحملة التي أرسلها الإمبراطور طيباريوس إلى الفرس، فعزا البيزنطيون الهزيمة إلى تواطؤ المنذر الرابع مع الفرس، ثم اعتقل من قبل الحاكم البيزنطي في سوريا، وأرسل إلى القسطنطينية مع اثنين من أبنائه وإحدى نسائه متهماً بالخيانة، وعندما تولى الإمبراطور موريق (٥٨٢-٦٠٢م) الحكم في بيزنطة، وقد عرف بعدائه للمنذر، أمر أن ينفى المنذر إلى جزيرة صقلية [٢٩]، وأمر أن تقطع المعونة السنوية عن أسرة المنذر، الأمر الذي أغضب أبناء المنذر الأربعة، فتمردوا على البيزنطيين، وأعلنوا الثورة ضدهم، ودخلوا الصحراء، وقاد النعمان أكبر أبناء المنذر هجمات عنيفة ضد (بصرى) التي كانت أكبر قاعدة

بيزنطية في سوريا، وتمكن الإمبراطور موريق من الإيقاع بالنعمان بن المنذر، وألقي القبض عليه، وأرسل إلى القسطنطينية، وبعد ذلك عمت الفوضى دولة الغساسنة، وتجزأت إلى أن استولى الفرس على سوريا عام ٦١٤م، ثم تمكن الإمبراطور البيزنطي (هيراكليوس) (هرقل) من طرد الفرس من سوريا في سنة ٦٢٨م، وأعاد الغساسنة إلى حكم سوريا، والدليل أن الغساسنة وقفوا ضد المسلمين في حروبهم مع الروم، حتى أوقع بهم خالد بن الوليد في موقعة مرج الصفر عام ٦٣٤م (٣٠).

وكان آخر ملوكهم هو جبلة بن الأيهم، الذي حارب الفرس إلى جانب البيزنطيين، وعند مجيء الإسلام قاتل جبلة بن الأيهم إلى جانب البيزنطيين في بادئ الأمر، ثم انضم إلى جانب المسلمين بعد أن أعلن إسلامه، إلا أنه ما لبث أن ارتد عن الإسلام ولجأ إلى القسطنطينية (٣١).

وفيما يتعلق بالجانب الحضاري، فقد تأثرت حضارة الغساسنة بالحضارتين الساسانية والبيزنطية، حيث أقاموا عددًا من القصور والأبراج والقناطر، وعمل الغساسنة بالزراعة، حيث اعتمدوا على مياه حوران التي كانت تتدفق من أعلى الجبال، واستغلوها في الزراعة، كما استغل الغساسنة موقعهم الاستراتيجي في النقل التجاري الداخلي والخارجي. أما اللغة التي استعملوها، فكانت اللغة العربية، إلى جانب الآرامية، واعتنقوا النصرانية على المذهب المنوفيزي(٣٢).

أما دولة المناذرة (٣٣)، فقد قامت في شمال شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة، وذلك في الفترة نفسها التي قامت فيها دولة الغساسنة، حيث نسبت هذه المملكة العربية الشمالية إلى قبائل تنوخ (٣٤) التي نزحت بجماعات كبيرة من جنوب شبه الجزيرة العربية.(أنظر الخارطة١)

واتجهت هجرة المناذرة نحو بلاد ما بين النهرين خلال القرن الثالث الميلادي، واستقرت قريبًا من نهر الفرات، ومن ثم قامت مملكة المناذرة في بلاد العراق، كدولة مستقلة ومتحضرة، واتخذت من مدينة الحيرة عاصمة لها (٣٥)، وعرفت هذه المملكة بعدة مسميات(٣٦).

وقد حظيت الحيرة بموقع جغرافي متميز بين أراضي العراق وأبناء صحراء العرب؛ لذلك أفاد من موقعها الفرس؛ لأنها كانت بمثابة الدرع الواقية أمام غزوات الأعراب المفاجئة، كما كانت نصيرًا ضد الروم في حروبهما المتصلة. وكانت تجد دعمًا واعترافًا من جانب الفرس. ولكن موقعها

ذاك جعلها تشترك في كل الحروب التي دارت بين الفرس والرومان بعد ذلك في محاولة للسيطرة على أراضي الهلال الخصيب، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن مدينة البتراء كانت أحد أهم المراكز التجارية والإدارية والدينية في منطقة جنوبي بلاد الشام خلال الفترة البيزنطية (٣٧).

ومن الملاحظ أن مملكة المناذرة استطاعت بمضي الوقت أن تكون لها علاقات سياسية متبادلة مع جيرانها من القبائل العربية، والبيزنطيين، والفرس، واختلفت طبيعتها من كيان سياسي لآخر، وفق سياسة المصالح والأهداف، وكان لهذه المملكة دور مهم بين الممالك العربية، فقد كان لها صلات مع الحضر وتدمر والأنباط والقرشيين، فكانت الآلهة في هذه المدن هي نفسها موجودة في الحيرة، منها اللات والعزى وهبل، ومما يؤكد ذلك روايات كثيرة ذات صلة بجذيمة الأبرش بملكة تدمر زنوبيا مثلًا، وعلاقتهم وعلاقة ملوك الحيرة بملوك مملكة الحضر، وأحيانًا ينسب المؤرخون السلالة الحاكمة في مملكة المناذرة، وهم بنو لخم إلى ملوك الحضر في العراق، وهذا يدل على صلاتهم الواسعة بالممالك العربية الأخرى.

أما ملوك المناذرة الذين حكموا، فقد كانوا مضطرين إلى مسالمة الفرس بعد أن أسقطوا الدولة الفرثية(٣٨)، واستولوا على ممتلكاتها، وقد كانت العراق من ضمن هذه الممتلكات، وأصبحت الأمور في يد عمرو بن عدي الذي جعل من الحيرة مقراً له وعاصمة لدولته، وذلك في الفترة من ٢٦٨-٢٨٨م (٣٩) ، ثم جاء امرؤ القيس الأول (٢٨٨-٣٢٨م) (٤٠)، الذي استطاع أن يستغل الأوضاع السياسية السيئة التي كانت تمر بها الفرس بعد وفاة بهرام، واضطراب الأحوال في البلاد، وتمكن من بسط سيطرته على أغلب القبائل العربية في بلاد الشام والعراق، ومن هنا جاء لقب ملك العرب الذي من المؤكد أن نقش قبر امرؤ القيس الأول المتوفى سنة (٣٢٨م) مكتوب عليه "هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم". وهو النقش المعروف بنقش النمارة(٤١)، وهذا الحاكم له إنجازات عظيمة من تكوين أسطول بحري في البحرين، وقد هاجم مدنًا فارسية، وسيطر على مدن تمتد من العراق والشام إلى نجد والحجاز، حتى نجران.

ومن أشهر ملوك المناذرة النعمان بن امرئ القيس" [٤٢]، الذي عرف بالأعور والسائح [٤٣]، وذكرت الروايات التاريخية أنه كان محارباً قوياً، شديد النكاية بأعدائه، وكان يملك كتيبتين، إحداهما فارسية وعُرفت بالشهباء، والثانية عربية، وتدعى الدوسر، وكان يضرب بالأخيرة منهما المثل، فيقال: (أبطش من دوسر) لقوتها، وكان يغزو بالكتيبتين كل من لم يدن له، ويخضع لقوته' وفي عهده توثقت العلاقات السياسية بين المناذرة والفرس، وسارت من حسن إلى أحسن. [٤٤]

ويمثل عهد المنذر بن امرئ القيس، والمعروف بلقب (المنذر بن ماء السماء) [٤٥]، حقبة من حقب وأحداث القرن السادس الميلادي، وهو القرن الذي شهد تطورات وتغيرات وتحولات سياسية خطيرة في مفهوم العلاقات الدولية، حيث اتسمت العلاقات السياسية بين الفرس والمناذرة بالتوتر، والتذبذب، وساءت العلاقات السياسية بينهما، كما اتخذت العلاقات العربية طابعاً حربيًا، وساءت علاقة المناذرة بجيرانهم من القبائل العربية، وزادت العداوات بينهم، ففي فترة حكم المنذر زادت العداوة مع قبيلة بكر بن وائل، ومملكة كندة، حيث كان للمصالح السياسية، والأهداف الخاصة دور كبير في حدوث تطورات جديدة في العلاقات الدولية في تلك الفترة، فصديق الأمس أصبح عدو اليوم، وعدو الأمس أصبح صديق اليوم، واتسمت العلاقات الدولية خلال القرن السادس الميلادي بتغييرات خطيرة.

وقد أخذت التحولات الجديدة التي ظهرت على العلاقات بين المناذرة والفرس، في فترة حكم المنذر بن امرئ القيس، اهتمامًا من قبل الإخباريين والمؤرخين، في محاولة لتفسيرها، ولتوضيح سبب هذا التحول في العلاقات، رأى أحدهم أن تقاعس المنذر عن حماية حدود الفرس الغربية، وعدم استتباب الأمن، وكثرة الهجمات التي تقوم بها القبائل العربية على مصالحهم، كان سبباً مهماً في العداوة، وعزل المنذر [٤٦]، وذهب آخر[٤٧] إلى أن ما أصاب المنذر من ضعف يعود إلى ضعف الملك الفارسي قباذ الذي أصبح ضعيفاً بعد اعتناقه المزدكية، واستغلت قبيلة بكر بن وائل هذا الضعف من المناذرة والفرس، وملّكوا الحارث الكندي عليهم، وفرّ المنذر من الحيرة بعد هجومهم عليها،وفي النهاية ملك قباذ الحارث الكندي على الحيرة [٤٨] ، وعزل المنذر، خاصة بعد

أن استولى على أرض السواد، وربما لعبت الظروف الدولية في تلك الفترة دوراً كبيراً في إحداث مثل هذه التغيرات التي أتى على رأسها الظروف الداخلية التي كانت تعيشها الدولة الفارسية من حالة قلق وفوضى داخلية بسبب اعتناق المزدكية، إضافة إلى قوة القبائل العربية في المنطقة، واتحاد قبائل بكر بن وائل مع كندة، وكثرة اعتداءاتها على حدود الدولة الفارسية، إضافة إلى صراعها المستمر مع عدوها اللدود الدولة البيزنطية.(أنظر الخارطة ٣).

ولاشك أن المنذر كان يتمتع بالقوة وشدة البأس، واستطاع أن يقف في وجه الدولة البيزنطية، وربما يكون الملك الفارسي قد خاف منه، وخشي من قوته، فقام بعزله خوفًا على مصالحه السياسية، وعلى ملكه وسلطانه، وليس أدل على قوة المنذر من هزيمته للبيزنطيين، وأسر قائدين من قوادهم ، وأصبح نداً لهم، حيث أرسل له الإمبراطور البيزنطي وفداً ليتفاوض معه على إطلاق سراح القائدين(٤٩)، لكن سرعان ما تغيرت الأمور بتولي أنوشروان الحكم في فارس، وعودة المنذر إلى الحكم، حيث استطاع أن ينتقم من الكنديين، والقبائل العربية الذين انتزعوا عرش الحيرة مدة ثلاث سنوات، وقد لقي المنذر حتفه أثناء حربه مع الغساسنة في موقعة حليمة سنة ٥٥٤م(٥٠).

وتوالى على عرش الحيرة عدد من الحكام الذين يبدو أنهم حرصوا على استقرار الأمور، واستمرار العلاقات الحسنة مع الفرس، حتى تولى عرش الحيرة النعمان بن المنذ(٥١)، وفي عهده ساءت العلاقة بين المناذرة والفرس، وقد أورد المؤرخون عدة آراء حول أسباب ذلك، فمنهم من قال: إن رفض النعمان تزويج أحد بناته للفرس كان سبباً في غضب كسرى منه، ثم قتله(٥٢)، ورأي ثان قال: إن كسرى الفرس قد أغضبه محاولات النعمان لتوحيد القبائل العربية في منطقة الحيرة، ضد الفرس ومصالحهم (٥٣)، وهناك من ذهب إلى أن كسرى قد حقد على النعمان وغضب منه بسبب موقف الحياد الذي اتخذه النعمان من صراع كسرى مع خصمه بهرام على السلطة(٥٤). وسارت من سيء إلى أسوأ بعد وفاة النعمان، وظلت العلاقات متوترة بين الفرس والقبائل العربية في منطقة الحيرة التي ظلت تسيطر عليها الدولة الفارسية حتى سقطت الحيرة تحت سيطرة القائد خالد بن الوليد زمن خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في سنة ٦٣٤م (٥٥).

ثالثًا: الأوضاع الداخلية للدولة الفارسية وسياستها الخارجية خلال القرن السادس الميلادي:

لا شك فيه أن الدولة الفارسية كانت من القوى العظمى التي ظهرت خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، على مسرح الأحداث في شمال شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة، ودخلت في صراع دولي، خاصة مع القوة العظمى الثانية، وهي الدولة **البيزنطية**. ووقد استطاع الفرس خلال القرن الرابع الميلادي الاستيلاء على اقليم الجزيرة، وذلك بسيطرتها على كل من : ديار بكر ، وسنجار ، وكذلك جزيرة ابن عمر، مما زاد من حدة الصراع بين الدولتين(٥٦).

وقد شهدت بلاد فارس فترة استقرار كبيرة خلال الفترة الواقعة بين وفاة الملك شابور الثاني وتولي قباذ الثاني (٤٨٨-٥٣١م)، بعد أن مرت بعددٍ من الأحداث، وخاصةً قبل عام ٤٨٨م، ففي بداية عهدِ الملك يزدجرد الثّاني كان جيش الإمبراطورية الفارسية (الساسانية) (٥٧)، خليطاً من أمم مختلفة، وهاجمَ الجيش الساساني الإمبراطورية الرومانية الشرقيةَ التي كَانتْ تَبْني التحصيناتَ التي كان الرومان يستخدمون فيها خدعاً للحملات العسكرية التي ينوون إرسالها للأرضِ الفارسيةِ، ولكن الملك يزدجرد الثاني فاجأ الرومان، وكان بإمكانه أنْ يَتقدّمَ في الأرضِ الرومانيةِ، ولكن الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثّاني طلب معاهدة سلام وأرسل قائدَه إلى معسكرِ الملك يزدجرد الثاني، وفي المفاوضاتِ بينهما في سنة ٤٤١ م، اتفقت كلتا الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية على ألا تَبْني أيّ تحصينات جديدة على الحدود. وقد اعتلى العرش الملك هرمز الثّالث (٤٥٧-٤٥٩) وهو الابن الأصغر للملك يزدجرد الثّاني، وأثناء عهده القصير، قاتلَ بشكل مستمر أخاه الأكبرِ فيروز الذي كَانَ مدعوماً من طبقة النبلاءِ، وقُتِلَ الملك هرمز الثالث مِن قِبل أَخِيه فيروز في سنة ٤٥٩ م.

ومع بداية القرن الخامس الميلادي تعرضت الدولة الفارسية لهجمات شرسة من قبل جماعات عرفت بالهون البيض واستطاع الملك الفارسي بهرام الخامس وأخوه يزدجرد الثاني أن يوقعا بهم الهزيمة، ولكنهم عاودوا الهجوم مرة أخرى في نهاية هذا القرن، وعاشت الدولة الفارسية خلال هذا القرن فترة من عدم الاستقرار الداخلي، ومرت بفوضى ومشكلات سياسية، خاصة بعد تولي الملك

قباذ الأول (٤٨٨-٥٣١) الحكم، وحدوث صراع بينه وبين أحد إخوته على العرش انتهى بانفراد قباذ بحكم البلاد، واستطاع أن يحقق كثير من الانتصارات الحربية على الرومان.

أما فترة حكم الملك كسرى أبرويز، وهو الملك الأكثر شهرةً بين الملوك الساسانيين بسبب إصلاحاته السياسية، والإدارية الكبيرة، فقد شهدت حالة من الاضطرابات وعدم الاستقرار بسب الانقلاب الذي تعرض له هذا الملك من قبل أحد قادته ، ويعرف ببهرام جوبين [٥٨]، الذي نجح في حركته الانقلابية تلك ، ونجح في التربع على العرش، لكن ذلك لم يستمر، حيث استمرت الاضطرابات، وامتنع كثيرون عن مبايعته، وخاصة أعوان كسرى وأنصاره[٥٩].

واستطاع كسرى أبرويز الهرب[٦٠]، وطلب المساعدة من الدولة البيزنطية التي كانت في ذلك الوقت تسعى إلى مصالحة الفرس، وعقد مصالحة معها، وإيقاف الحرب، ووجد الإمبراطور البيزنطي موريس أن مساعدة كسرى على استعادة عرشه فرصة كبيرة لا تعوض لوقف الحرب، وجميل قد يحفظه له كسرى في المستقبل، ونجح كسرى في عام ٥٩١م من استرداد ملكه، وهزيمة عدوه، بفضل الجيش الذي أرسلته بيزنطة التي توطدت العلاقات بينها وبين الفرس في عهد كسرى أبرويز بزواجه من ابنة الإمبراطور البيزنطي[٦١]، وساد السلام بين الدولتين.

ومن الملاحظ أن بلاد فارس حظيت بنهضة كبيرة خلال الفترة التي تعالجها الدراسة، وهي منذ بداية العقد الثاني من القرن السادس الميلادي ، وعاشت أزهى عصورها ،بسب التنظيمات الإصلاحية التي أقيمت في تلك الفترة في جوانب الدولة ، سواء في النواحي الاقتصادية، أو في النواحي الاجتماعية ، أو العسكرية أو في أنظمة الحكم والسياسة [٦٢].

رابعاً: الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية وسياستها الخارجية خلال القرن السادس الميلادي

كانت الإمبراطورية البيزنطية إحدى القوى العظمى التي ظهرت بقوة في شمال شبه الجزيرة العربية منذ القرن السادس، وحتى مطلع القرن السابع الميلادي، فخلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين تعرضت الإمبراطورية الرومانية لأزمة في ذلك القرن تعرف بأزمة القرن الثالث[٦٣]،

وهي أزمات اقتصادية وعسكرية، والحروب الخارجية، إضافة إلى الحروب الأهلية التي تعرضت لها روما، وضعفت بسببها، وفي أواخر القرن الثالث تم تقسيم الإمبراطورية من قبل دقلديانوس في تلك الأوقات الصعبة التي تمر بها الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي، وفي الفترة التي انتهت بظهور الدولة البيزنطية تولى الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤- ٣٠٥م)، وبرع كإداري من الطراز الأول[٦٤]، وما إن تولى عرش الإمبراطورية، حتى أدرك أنها تعاني مشكلات داخلية وغزوات الفرس والقبائل الجرمانية [٦٥]، ولا يمكن إدارتها بواسطة حاكم وبوسائل إدارية قديمة، فقام بإصلاحات واسعة، وإقامة سلطة مركزية حازمة مع فصل تام بين السلطتين المدنية والعسكرية، فقام بتقسيم الإمبراطورية إلى شطرين غربي وشرقي، [٦٦].ويعد هذا الحدث كبيرًا جدًا له ما بعده في الأحداث التاريخية التي هيأت لتاريخ العصور الوسطى، حيث انتهت الزعامة السياسية لروما بخلع آخر أباطرتها الرومان. (أنظر الخارطة ٣).

وفي عام ٢٨٦م، كانت الإمبراطورية الرومانية الغربية [٦٧] تشير إلى النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية، والنصف الآخر من الإمبراطورية الرومانية أصبح يعرف باسم الإمبراطورية الرومانية الشرقية[٦٨]، ومعروفة اليوم على نطاق واسع باعتبارها الإمبراطورية البيزنطية، وفي عام ٢٨٦ وأصبحت ميلان (ميلانو الحالية) عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية. وفي عام ٤٠٢ نُقلت العاصمة مرة أخرى، وهذه المرة إلى رافينا.

وحدت الإمبراطورية الرومانية في عدة فترات متقطعة بين القرنين الثالث والخامس، نتيجةً لحكومة دقلديانوس وكان ثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥) آخر إمبراطور روماني حكَم الإمبراطورية الرومانية الموحدة. وانقسمت الإمبراطورية الرومانية بعد وفاته عام ٣٩٥ بشكل دائم، وانتهت الإمبراطورية الرومانية الغربية رسمياً بوفاة يوليوس نيبوس سنة ٤٨٠م[٦٩]. وكان ثيودوسيوس ناجحًا في سياسته الخارجية، فقد تمكن في عام٣٨٧م من عقد معاهدة جديدة مشرفة مع الفرس أعاد بها نصف أرمينية إلى سيطرة الإمبراطورية[٧٠] .

وفي عام ٣٩٢م استطاع أن يضم الغرب بكامله إلى الشرق تحت إدارته، وذلك بعد وفاة فالنتيان، وعند وفاته عام ٣٩٥م ترك الإمبراطورية لولديه، فكان الشرق من نصيب ابنه أركاديوس، والغرب لابنه هونوريوس، وبموته انفصل الشرق عن الغرب إلى الأبد بعد أن ترك إمبراطورية بيزنطية أرثوذكسية، وبعد وفاة الإمبراطور ثيودسيوس الأول انقسمت الإمبراطورية الرومانية للمرة الأخيرة، حيث انفصل سياسياً وإلى الأبد نصفاها الشرقي والغربي[٧١].

كانت الإمبراطورية من أقوى القوى الاقتصادية والثقافية والعسكرية في أوروبا في عهد قسطنطين الأول (٣٠٥–٣٣٧ م)[٧٢]، واستعادت معظم ساحل البحر المتوسط الغربي، بما في ذلك شمال إفريقيا، وإيطاليا، وروما التي احتفظت بها الإمبراطورية لأكثر من قرنين. وقام ببناء عاصمة جديدة لدولته بدلاً من العاصمة القديمة روما عرفت باسم القسطنطينية[٧٣].

وجاء الإمبراطور قسطنطين _بعد حرب أهلية_ على العرش وبه يعتبر الظهور الحقيقي للإمبراطورية البيزنطية، كما أنه اعترف بالمسيحية، ويعد هذا انتصارًا كبيرًا لها. حيث أصدر مرسوم ميلان ٣١٣م الذي أعلن فيه التسامح الديني للمسيحيين، وصدرت وثيقة بهذا الاسم [٧٤]. ويعد هذا تحولًا كبيرًا، حيث كانت المسيحية تضطهد من قبل الأباطرة قبله، أما قسطنطين، فلم يعترف بحقها بالوجود في مرسوم ميلان فقط، بل في وضعها تحت حماية الدولة، وهذا تحول كبير جداً في العالم المسيحي، حيث اعترف بالكنيسة باعتبارها الدولة، وبالإمبراطور باعتباره الرئيس الديني الأعلى لها، وقد رفع هذا من شأن الامبراطور ومقامه، فالإمبراطور، حسبما قال ليو الثالث الأيسوري، هو "حارس أبواب السماء وراعي القطيع مثل بطرس كبير الرسل، مما حال دون قيام صراع مكشوف بين الكنيسة والدولة في بيزنطة[75] .

واختلف الباحثون في شرح الدوافع الحقيقية لاعتراف قسطنطين بالمسيحية، فرأى البعض أن قسطنطين كان يدين بالمسيحية ويؤمن بها ، بينما رأى البعض الآخر أن أسباب اعترافه بالمسيحية هو لأسباب سياسية[٧٦]. وربما يكون قسطنطين قد اعترف بالمسيحية داخل الإمبراطورية ، وليس ديناً رسمياً لها.

وأياً كان الدافع، فقد قام بعدة أعمال لخدمة المسيحية، حيث منح رجال الدين المسيحيين الحقوق والامتيازات نفسها التي كان يتمتع بها الوثنيون، وتم إعفاؤهم من الضرائب وتأدية الوظائف المدنية، كما أمر بتشييد عدد كبير من الكنائس في أنحاء الإمبراطورية مثل: كنيسة القديس بطرس في روما وكنيسة المهد في بيت لحم وبنى الكنائس في العاصمة الجديدة القسطنطينية.

وجدير بالذكر أن قسطنطين رأى أن وحدة الإمبراطورية يعتمد على وحدة الكنيسة، وكان يريد أن يحكم كإمبراطور وبابا في آن واحد، وبذلك تم عقد أول مجمع ديني (عالمي) الهدف منه البحث في العقيدة وشئون الكنيسة. وبعد موت قسطنطين خلفه أباطرة كثيرون، يعد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)[٧٧] من أبرزهم، حيث قام بتشريع كثير من القوانين، غير أن الإمبراطورية البيزنطية واجهت في عهده عدة صعوبات.

وفي عهد الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢ م)، تم توسيع الحدود الشرقية للإمبراطورية وتأمين حدودها الشمالية، غير أن اغتيال موريس عام ٦٠٢م[٧٨] أدى إلى نشوب حرب امتدت لعقدين مع فارس الساسانية، وذلك استنفد القوى العاملة وموارد الإمبراطورية، ما أسهم في خسائر فادحة وخسارة في الأراضي أثناء الحروب بين العرب والإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع.

وكان الساحل الشمالي الإفريقي الجزء الوحيد من الإمبراطورية البيزنطية الذي لم يلحقه الأذى في عهد الإمبراطور فوقاس سواء من الناحية الداخلية أو الخارجية، فقد كان يتولى أمره هرقل (٦١٠- ٦٤١م)[٧٩]، وأخذ أهالي وأحزاب العاصمة البيزنطية "القسطنطينية" يحرضون هرقل على القضاء على فوقاس وتخليص الإمبراطورية منه بعد أن قامت ضده عدة تمردات وثورات من قبل بعض القادة العسكريين وكبار الموظفين[٨٠]، فأعد هرقل أسطولًا تحت قيادة ابنه الذي استطاع الانتصار على الإمبراطور فوقاس، ونودي بهرقل إمبراطورًا على الدولة البيزنطية عام ٦١٠م. وبدأت الفترة الأخيرة للانتقال في عهد الإمبراطور هرقل عندما بدأت الإمبراطورية بإصلاحات في مجال الجيش والإدارة، وتغيير اللغة الرسمية للإمبراطورية من اللاتينية إلى اليونانية.

وشهدت الإمبراطورية البيزنطية قبل تولي هرقل أوضاعًا متردِّية، شمِلتْ مختلف جوانب الحياة، فمِن أزماتٍ في الحكم، إلى صراعٍ دمويٍّ عنيفٍ بين مختلف الطبقات، إلى أعداء خارجيين

يُحيطون بالإمبراطورية ويُناوِشُونها، إلى انحدارٍ عسكريٍّ واقتصاديٍّ، وتردٍّ لمستوى الحياة وأنماطها داخل العاصمة، وفي كلِّ أنحاء الإمبراطورية.

كان على هرقل بمجرد أن تولى العرش أن يواجه المشكلات التي تحيط بالإمبراطورية، فقد كانت الدولة تحتاج إلى الإصلاح الداخلي؛ فضلًا عن الخطر الفارسي الذي يواجهها من الشرق وأخطار السلاف والأفار من الغرب، وعندما تولى هرقل عرش الإمبراطورية تصدى لكثير من الأزمات التي مرت بها الإمبراطورية خلال الربع الأخير من القرن السادس الميلادي، تمثلت تلك الأزمات في أزمات سياسية واقتصادية ودينية وتنظيمات خاصة بالنواحي الإدارية[٨١].

وشهدت مدة حكم الأسرة الهرقلية الحروب مع الفرس والأفاريين. كما عاصرت هذه الأسرة الفتوحات العربية، ففي العام السادس من الهجرة أرسل النبي–صلى الله عليه وسلم–الكتب والرسل إلى الملوك والأمراء داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها يدعوهم إلى الإسلام، ومن بين هذه الكتب الكتاب الذي أرسله الرسول إلى هرقل ملك الروم، وكان رسول الرسول صلى الله عليه وسلم هو دحية بن خليفة الكلبي، وقد تليت الرسالة على هرقل، فلم يغضب ورد على الرسالة ردًا حسنًا.

وعلى الرغم من كل ما تعرضت له الإمبراطورية، استطاعت أن تعود قوية من جديد في القرن العاشر تحت حكم الأسرة المقدونية، وأصبحت من أقوى دول أوروبا والبحر المتوسط.

واستمرت الإمبراطورية الشرقية وبقيت لعدة قرون حتى سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م على يد الأتراك العثمانيين [٨٢]، وبسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية بدأت حقبة جديدة في تاريخ أوروبا الغربية هي: العصور الوسطى.

خامساً: بعض ملامح العلاقات الدولية من خلال الصراع البيزنطي الفارسي وأثره على حضارة عرب الشمال، وعلاقاتهم السياسية والخارجية:

شهد القرن السادس الميلادي تنافساً دوليا كبيراً بين الدولة الفارسية (الساسانية)، والدولة البيزنطية وريثة الإمبراطورية الرومانية القديمة، (أنظر الخارطة ٤)، وكان هناك صراع وعداء بين القوتين العظميين خلال القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع الميلادي، وامتد أثر هذا

الصراع الدامي إلى منطقة شبه الجزيرة العربية، وكان ذلك الصراع أشبه بالمد والجزر، حيث تبادل الطرفان النصر والهزيمة، ولعل الأوضاع التي كانت تشهدها الدولة الفارسية خلال تلك الفترة من استقرار داخلي وخارجي، جعلها تحظى بالتفوق على أعدائها البيزنطيين الذين مرت بلادهم بعدة أزمات سياسية وعسكرية وخارجية، ما جعل التفوق للفرس.

وقد شكل الصراع البيزنطي الفارسي جانبًا من جوانب العلاقات الدولة، ومن خلاله، وضحت طبيعة العلاقات الدولية وصورتها خلال تلك الفترة.

ومن الملاحظ أن العداء مستحكم بين الطرفين قديما، حيث ترجع جذوره إلى عصور ما قبل الميلاد، ولا شك أن أسباب التنافس والصراع البيزنطي الفارسي قد تعددت تبعًا لتعدد المصالح التي كانت لكل منهما في منطقة شمال شبه الجزيرة العربية وخارجها، فتنوعت ما بين أسباب سياسية واقتصادية ودينية، وربما كان ميزان القوة وسياسة المصالح أحد الأسباب الرئيسة لذلك، كما أن الصراع الذي كان دائرًا بين قطبي العالم آنذاك لم يكن صراعاً سياسيًا أو عسكريًا فقط، بل كان صراعاً فكريًا بامتياز، وقد أثر ذلك الصراع كثيراً في النمو الحضاري للعرب في تلك الحقبة، وفي العلاقات السياسية بينهم.

- **لمحة موجزة عن أسباب الصراع البيزنطي الفارسي:**

شهدت الإمبراطورية البيزنطية اتساعاً جغرافياً في أغلب فتراتها التاريخية، فشملت أجزاء من أوروبا وإفريقيا، حتى وصلت إلى منطقة شبه الجزيرة العربية، فسيطرت على أجزاء من نهر الفرات شرقًا، إلى بلاد الشام وتخوم بلاد العرب، ما جعلها تعد من القوى العظمى التي أصبحت تتطلع إلى السيطرة على مناطق أخرى، بهدف السيطرة على الجميع، وأصبحت قوة تنافس القوة الأخرى في المنطقة التي تمثلت في الفرس الذين اتسعت حدود دولتهم حتى سيطروا على أغلب مناطق آسيا. وأصبحت كل قوة تنافس الأخرى، وتدخل معها في صراع لتحافظ على مصالحها وحدودها، التي كانت في كثير من الأحيان مشتركة، كمنطقة الفرات التي كانت منطقة حدودية مشتركة بين الطرفين، تتغير فيها السيطرة من وقت لآخر، فتارة تكون ضمن التبعية البيزنطية، وتارة يسطير

عليها الفرس، ولا شك أن ذلك يعود إلى مدى الاستقرار والضعف الذي تمر به كل واحدة من القوى المسيطرة، كما تحاول كل قوة التوسع على حساب الأخرى، بهدف أن البقاء للأقوى(٨٣).

ولا شك أن من عوامل التنافس الدولي والصراع هو التنافس على التجارة الدولية وطرقها، ليس بين بيزنطة وفارس فحسب، بل بين جميع القوى في المنطقة، فقد سعى كل من البيزنطيين والفرس إلى محاولة السيطرة على الطرق البرية والبحرية، والسلع التجارية، وفي سبيل تحقيق ذلك دخل الطرفان في صراع مستمر، وكانت بلاد الشام مسرحاً مهماً من مسارح الصراع بين الطرفين، باعتبار بلاد الشام ملتقى لطرق التجارة بين الشرق والغرب في ذلك الوقت (٨٤)، فقد كانت سفن العرب تبحر من مواني الخليج العربي وساحل اليمن إلى مواني الهند الغربية وإلى ساحل جنوب الهند، حيث يلتقون هناك بالتجار الصينيين، ويحصلون منهم ومن التجار الهنود على بضائع الصين والهند، ويبيعونهم بضائع الجزيرة العربية الثمينة التي كان من أهمها البخور والعطور والنحاس واللبان واللؤلؤ، والحرير الذي كان يأتي من الصين والهند وغيرها(٨٥).

وبوصول البضائع الصينية والهندية إلى مواني الجزيرة العربية كان التجار العرب ينقلونها على متن سفنهم وعلى ظهور قوافلهم عبر الطرق البرية والبحرية إلى بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين والشام ومصر وساحل الحبشة، فزاد ثراء العرب من التجارة بالمواد الناتجة من جزيرتهم وتلك المستوردة من الهند والصين، وقد جلب هذا الثراء على العرب نقمة القوى والشعوب المحيطة بشبه الجزيرة العربية الذين قاموا بمحاولات للسيطرة عليها(٨٦)،كالآشوريين واليونانيين، والرومان، والفرس الذين لم تنجح محاولاتهم التي قاموا بها في عهد ملكهم دارا الكبير، وقاموا بمزاحمة العرب في تجارتهم، واستمر التنافس بين العرب والفرس على تجارة الشرق في مد وجزر في العصور التالية ففي أيام الفرثين الذين سقطت دولتهم في فارس في أوائل القرن الثالث الميلادي تضررت تجارة الخليج القادمة من الهند والصين نتيجة تشجيع الفرثين لنقل تجارة الصين على الطريق البري الذي يمر عبر أراضيهم، وعمل خلفاؤهم الساسانيون على تشجيع التجارة على طريق الحرير البحري، وفي السياق نفسه كان للإمبراطورية الرومانية محاولات للسيطرة على منطقة شبه الجزيرة العربية في عهد الإمبراطور أوغسطس عام ٢٤ق.م(٨٧).

وكانت تجارة الحرير وطرق الحرير من عوامل الصراع البيزنطي الفارسي، حيث عمل الفرس الساسانيون على تقليص تجارة البيزنطيين البحرية المباشرة مع الهند، فقلت بذلك سفن البيزنطيين في المحيط الهندي والخليج العربي، واكتفت سفنهم بالوصول إلى باب المندب والسواحل الإفريقية، ونجحوا في نقل تجارة الهند وسيلان والصين، إلى الخليج العربي، فكانت بضائع الشرق تمر بمواني صحار والبحرين حتى تصل إلى الأبلة بالعراق. وكانت سفن الصين والهند ترد إلى ملوك الحيرة الموالين للساسانيين وترسو في ميناء الأبلة، وكانت بضائع الصين تنقل إلى سوريا، حيث تباع للبيزنطيين بالشام، وكان أهم مواد تلك التجارة الحرير الصيني الذي تزايد استخدامه عند البيزنطيين والفرس، وتنافس الطرفان على احتكار التجارة الشرقية التي ارتفع شأنها(٨٨).

وقد حاول البيزنطيون التخلص من احتكار الفرس لتجارة الشرق وحرمانهم من الأموال التي تعود عليهم من تجارة الحرير الصيني، فساعدوا الأحباش في الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية، سنة ٥٢٥ م، وحاولت التودد إلى الأحباش الذين أصبحوا يسيطرون على مضيق باب المندب المدخل الرئيس للبحر الأحمر(٨٩)، وفي عام ٥٣١م أرسل الإمبراطور جوستنيان وفداً إلى أكسوم ليفاوض الأحباش في شراء الحرير الصيني والبضائع الأخرى من الهند مباشرة وبيعه للبيزنطيين، وقد وافق الأحباش على ذلك، ومن جهة أخرى لم ينجح التجار الأحباش في منافسة التجار العرب والفرس على تجارة الشرق، فقد كان هؤلاء قد استقروا في سيلان والهند ولعبوا لفترات طويلة دور الوسطاء في هذه التجارة، وتم القضاء على حلم البيزنطيين نهائياً بطرد الأحباش من جنوب شبه الجزيرة العربية بمساعدة الفرس لأهل المنطقة. ومما لاشك فيه أن الطرق التي كانت تسلكها القوافل العربية من شمال شبه الجزيرة العربية إلى جنوبها كانت ذات أهمية للبيزنطيين والفرس في ذلك الوقت؛ لكونها المدخل الرئيس لبسط النفوذ السياسي، وتحقيق الأهداف الدينية، في جنوب المنطقة خلال القرن السادس الميلادي(٩٠).

وهكذا يتضح أن السيطرة على أرباح التجارة الصينية والهندية كانت السبب الرئيس المحرك للأحداث التي شهدتها شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، ومن ثم اجتمعت هذه

العوامل وغيرها، على احتدام الصراع بين القوتين العظميين الذي بدأت مراحله منذ السنوات الأولى للميلاد، واستمرت حتى أوائل القرن السابع الميلادي.

- **مراحل الصراع البيزنطي الفارسي:**

خلال القرن الثالث الميلادي ورث الساسانيون عن المملكة البارثية، الصراع مع الإمبراطورية الرومانية، من أجل السيطرة على الأراضي الخصبة في شمالي بلاد الرافدين والجزيرة، وعلى الأماكن الاستراتيجية والحيوية في أرمينية والقفقاس، تلك المناطق التي لم يكن ولاؤها للفرس أو للروم ثابتاً، بل كان يتغير بحسب المصالح وميزان القوى، وظل نهر الفرات الحد الفاصل بين الفرس والرومان حتى منتصف القرن الثالث الميلادي.

ففي سنة ٢٥٣م هاجم الشاه سابور الأول أرمينيا وطرد منها الملك الأرميني الذي كان موالياً للرومان، ونصب مكانه ملكاً أرمينياً موالياً للفرس الساسانيين، كذلك اصطدم سابور مع الإمبراطور الروماني فاليريانوس في معركة جرت بينهما سنة ٢٦٠م قرب مدينة الرها، فوقع الإمبراطور الروماني في الأسر، وسيق أسيراً مع أكثر من ٦٠ألفاً من جنوده إلى إيران، وفي أثناء تراجع سابور الأول إلى إيران تعرض لهزيمة أمام ملك تدمر أذينة الثاني في شمالي سوريا (٩١).

وفي عهد بهرام الثاني (٢٧٦ – ٢٩٣ م) تجددت الحرب بين الفرس والرومان، فانتصر الرومان في البداية، ودحروا الفرس حتى طيسفون، ولكن وفاة الإمبراطور الروماني كاروس المفاجئة جعلت الجيوش الرومانية تنسحب إلى سوريا(٩٢).

وفي أثناء فترة حكم الشاه نرسي (٢٩٣ –٣٠٢م) تجددت الحرب بين الطرفين في أرمينيا، وانتهت بهزيمة الفرس، واضطر على أثرها نرسي أن يفاوض الرومان، فتم الاتفاق على الاعتراف بسلطة الفرس على بلاد النهرين، وبسلطة الرومان على أرمينيا، كما تقرر أن تكون مدينة نصيبين مركزاً لتبادل التجارة بين الطرفين(٩٣).

ومع مطلع القرن الرابع الميلادي ساد الهدوء على الحدود بين الدولتين، طيلة حكم الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٥ – ٣٣٧م)، وبعد وفاته تجدد النزاع، وحاصر سابور الثاني (ذو

الأكتاف)مدينة نصيبين ثلاث مرات وفي سنة ٣٥٩م سقطت آمد (ديار بكر) بيده، كما احتل سنجار وبيت زبدي (جزيرة ابن عمر) سنة ٣٦٠م (٩٤).

وفي ٣٦٣م توجه الإمبراطور جوليان (٣٦١-٣٦٣م) نحو الشرق، ليضع حداً للاعتداءات الفارسية، بجيش مؤلف من خمسة وستين ألفاً، فعبر نهر الفرات على جسر من القوارب، كما عبر دجلة، ثم تابع زحفه نحو العاصمة الساسانية طيسفون، غير أن الحملة انتهت بمقتل الإمبراطور، فعين الجند جوفيان (٣٦٣-٣٦٤م) إمبراطوراً جديداً، غير أنه انسحب بسرعة بعد أن وقع صلحاً خاسراً مع الفرس، تنازل فيه عن جميع الأراضي البيزنطية الواقعة إلى الشرق من نهر دجلة، وعن سنجار ونصيبين، وأصبح خط الحدود الجديد بين الدولتين بمحاذاة نهر الخابور(٩٥).

أما القرن الخامس فقد تميز بسلام نسبي وهدوء على الحدود، بسبب انشغال البيزنطيين بمحاربة البرابرة القوط في الجبهة الشمالية الغربية من جهة، ولانشغال الفرس بالتصدي لغارات قبائل الهون على حدودهم الشمالية الشرقية من جهة أخرى(٩٦) .

وفي بداية القرن السادس الميلادي استأنف الشاه قباذ الحرب على بيزنطة، فهاجم حران والرها وسقطت آمد في يده سنة ٥٠٣م، بعد أن دفعت ثمناً باهظاً لمقاومتها التي دامت سبعة وتسعين يوماً. وسعى الإمبراطور انستاسيوس (٤٩١-٥١٨م) للاتفاق مع قباذ، ولكن دون جدوى، وحاول الفرس محاصرة مدينة الرها «القاعدة البيزنطية للعمليات العسكرية في هذه المنطقة» دون نتيجة، وانسحب قباذ واسترجع البيزنطيون آمد في سنة ٥٠٤ ـ ٥٠٥م، ثم انتهت العمليات الحربية بمعاهدة سنة ٥٠٦م. وفي سنة ٥٢٧م حدثت معارك طاحنة بين البيزنطيين والفرس، انتهت بعقد معاهدة سلام دائم في سنة ٥٣٢م، تعهد البيزنطيون فيها بأن يدفعوا للفرس مبلغاً كبيراً من الذهب سنوياً، لكن السلام لم يدم طويلاً، وجدد الفرس نشاطهم زمن كسرى أنوشروان(٩٧)، وتعرضت مدن الجزيرة للاجتياح أكثر من مرة من قبل الجيوش الساسانية أو من المناذرة، ووصلوا حتى مدينة أنطاكية، وفي النهاية توصلا إلى سلام لمدة خمسين عاماً في سنة ٥٦٢م(٩٨).

لم تكد تنقضي عشر سنوات حتى اندلعت الحرب مرة أخرى، حين رفض جوستين الثاني تنفيذ الاتفاق السابق مع الفرس، وأعلن الحرب عليهم، فهاجم الفرس في سنة ٥٧٣م مدينة دارا (حصن بيزنطة الحصين) واحتلوها(٩٩)، واستمرت الحرب سجالاً حتى أواخر القرن السادس الميلادي.

والملاحظ أن الصراع بين بيزنطة وفارس لم يقتصر على المناطق الخصبة والاستراتيجية، بل كانت طرق التجارة وبسط النفوذ السياسي، من أهم الميادين التي امتدت إليها المنافسة، وقد نجح الفرس في بسط نفوذهم على سواحل شبه الجزيرة العربية واحتلوا جنوبها، وأبعدوا الأحباش وحلفاءهم الروم عن سواحلها، وحققوا بذلك انتصاراً كبيراً على بيزنطة أواخر القرن السادس الميلادي(١٠٠) .

وفي أوائل القرن السابع الميلادي جدد الفرس حملاتهم على سوريا، فاحتلوا أنطاكية سنة ٦١١م ومدينتي حمص ودمشق سنة ٦١٣م، وحاول الإمبراطور هرقل التصدي لهم في شمالي سوريا، حيث اصطدم مع الفرس في معركة قرب أنطاكية، فانهزم البيزنطيون ولاحقهم الفرس حتى كيليكيا واحتلوها أيضاً(١٠١).

ولعل ما حدث من تطورات داخل بيزنطة بسبب مقتل الإمبراطور موريس على يد فوكاس، وتدخل الفرس في تلك الأحداث في عهد الملك الفارسي كسرى الثاني كان سببًا في تجدد المعارك بين الطرفين، حيث قرر كسرى أن يستجيب لنداء المساعدة من أبناء الإمبراطور موريس في الثأر، ووجد كسرى أن الوقت قد حان لرد الجميل الذي في عنقه لموريس عندما وقف بجانبه أثناء ثورة بهرام شوبين عليه(١٠٢) . وقد واجه هرقل بمجرد أن تولى العرش عدة مشكلات أحاطت بالإمبراطورية، منها الحاجة إلى الإصلاح الإداري، وغيره من شؤون الإصلاح الداخلي، فضلًا عن الخطر الفارسي الذي يواجهه من الشرق وأخطار السلاف والأفار من الغرب. وفي سنة ٦١٤م تابع الفرس زحفهم من كيليكيا نحو الجنوب فاخترقوا سوريا، واحتلوا مدينة القدس، وأباح شهربراز القائد الفارسي بيت المقدس لجنوده، فقتلوا من سكانها، حسبما ورد في المصادر البيزنطية، سبعة وخمسين ألفاً، كما أحرقوا الكنائس واستولوا على عود الصليب الذي صلب عليه المسيح، حسبما يعتقد المسيحيون، وأرسلوه إلى فارس(١٠٣).

وفي سنة ٦١٦م جدد الفرس نشاطهم الحربي، فأرسلوا جيشاً إلى مصر بقيادة شهربراز، فانتصر على القوات البيزنطية هناك، كما سقطت الإسكندرية بيد الفرس وخضعت لهم المدن المصرية الأخرى، وقام الفرس في مصر بمجزرة كبيرة ضد الأهالي(١٠٤)، وبسقوط مصر تحت السيادة الفارسية تعرضت بيزنطة لضربة اقتصادية كبيرة، وفي السنة نفسها أرسلوا جيشاً آخر توجه

إلى آسيا الصغرى، وتم اتخاذ مدينة خلقدونية معسكرًا للجيش الفارسي الذي أصبح مواجهًا للعاصمة البيزنطية، وقد أثارت هذه الخطوة الفزع في قلوب البيزنطيين عامة، وفي قلب هرقل خاصة، ولاسيما أن بلادة ما زالت تمر بظروف داخلية وخارجية قاسية خلال السنوات الأولى من حكمه(١٠٥).

حقق الفرس عدة انتصارات حيث تمكنوا من الاستيلاء على أقاليم عدة ، فاستولوا على أنطاكية، ثم دمشق، ووصلوا إلى بيت المقدس عام ٦١٤م (١٠٦)، وأرمينيا وما وراءها، ثم زحفوا نحو مصر، ودخلوا الاسكندرية ، حتى سيطروا عليها بأكملهاسنة ٦١٩م (١٠٧)، كما استطاعوا التوغل في أسيا الصغرى ، حتى قاربوا على مشارف مدينة القسطنطينية (١٠٨). فبدوا وكأنهم يستعيدون أمجاد الإمبراطورية الأخمينية القديمة.

حدثت تطورات في العلاقات فبدأت المفاوضات بين الطرفين، واتفق القائد الفارسي مع الإمبراطور البيزنطي على المفاوضة وإرسال بعثة دبلوماسية مع القائد الفارسي، للتفاوض على الصلح، لكن الأمور لم تجر كما كان البيزنطيون يخططون لها، حيث أمر الملك الفارسي كسرى جيشه المعسكر في خلقدونية بالهجوم على الإمبراطورية البيزنطية، لكن النصر كان حليف البيزنطيين سنة ٦١٩م (١٠٩).

ومن الملاحظ أن أحداث الحرب البيزنطية الفارسية بدأت تنتقل إلى ميادين حرب جديدة، عندما قرر الإمبراطور هرقل أن تكون استعداداته وتدريبات الجيش خارج العاصمة، فقرر أن تستقر جيوشه في مدينة قيصرية التي مكث بها فترة فصل الصيف، وبعد أن أكمل استعداداته، قرر أن يحارب أعداءه الفرس في عقر دارهم، فانتقل ميدان الحرب إلى أرمينية، وذلك في خريف سنة ٦٢٢م (١١٠) ، وحقق فيها البيزنطيون النصر على الجيش الفارسي.

وحقق الإمبراطور هرقل عدة انتصارات ضد كيسرى الذي استطاع أن يكون ثلاثة جيوش، وتمكن من التوصل إلى مفاوضات مع الآفار، الذين كانوا على هدنة مع البيزنطيين، ولكن الإمبراطور هرقل تمكن من تحقيق النصر، وتحقيق السيادة البيزنطية على أرمينية(١١١). وفي ديسمبر ٦٢٧م، تمكن هرقل من دخول مدينة نينوى بعد هزيمته للفرس، ففر كسرى منها وأخذ ينتقل من مكان لآخر، حتى استقر في المدائن، ولكنه اضطر إلى الفرار منها عندما اقتربت منها القوات

البيزنطية[١١٢]. وبعد أيام حلت النهاية بكسرى إذ قامت ضده ثورة بقيادة ابنه شيرويه الذي قبض عليه، وأودع بالسجن، ومات بعدها بأيام. وأعلن ابنه نفسه ملكًا على البلاد في فبراير ٦٢٨م، وهي السنة التي تم فيها الصلح بين بيزنطة وفارس بعد صراع مرير، استغرق جولات عديدة من الحروب الطاحنة بين القوتين، وتم الاتفاق على الرجوع بحدودهما إلى ما كانت عليه عام ٥٩١م[١١٣].

وهكذا انتهت الحروب الطويلة بين الفرس والبيزنطيين، من دون تغييرات ملموسة في الحدود والعلاقات بين الدولتين العظميين، وسقط آلاف الضحايا من الطرفين. فالفرس لم يحصلوا على منفذ على البحر الأسود أو المتوسط، كما لم تستطع بيزنطة كسر سيطرة الفرس على التجارة ببضائع الشرق الأقصى، وكل ما جناه الطرفان من هذه الحرب هو خروج كل منهما منهوك القوى.

- **أثر الصراع البيزنطي الفارسي على عرب شمال شبه الجزيرة العربية، وعلاقاتهم الخارجية:**

مما لا شك فيه أن الصراع الذي كان دائرًا بين قطبي العالم آنذاك لم يكن صراعاً سياسيًا أو عسكريًا أو اقتصادياً فقط، بل كان صراعاً فكريًا كذلك، وقد أثر ذلك الصراع كثيراً في النمو الحضاري للعرب في تلك الحقبة، وانعكس على التطور الحضاري لهم، ومن ثم أثر في العلاقات السياسية، والسياسة الخارجية لعرب الشمال، والممالك العربية الشمالية التي عاصرت الأحداث خلال تلك الفترة، في الوقت نفسه أثر ذلك الصراع على الأوضاع الاقتصادية، والنشاط التجاري تأثيراً واضحاً على كثير من الجوانب الاقتصادية للمنطقة تأثيراً سلبياً.

فالحروب المستمرة بين بيزنطة وفارس كان لها تأثير واضح على مملكتي المناذرة والغساسنة اللتين عاصرتا حقبة كبيرة من الصراع البيزنطي الفارسي الذي حدد نوع العلاقة بين إمارتي المناذرة والغساسنة وطبعها بطابع العداوة، والصراع الدائم الذي لا ينقطع أو يهدأ، إلا بتوقف الحرب بين الإمبراطوريتين أو بعقد هدنة بينهما. وحرصت القوتين العظميين على إقامة عدد من الممالك التابعة لها لحماية مصالحها من غارات البدو[١١٤].

في أثناء الصراع الذي كان يشتد يوماً بعد يوم حاولت كل من بيزنطة وفارس أن تسيطرا على الأوضاع في المنطقة لصالحها ، وأن تتغلبا على عدوها اللدود ،ولتحقيق ذلك أخذت كل منهما تبحثان عن حليف من البدو والقبائل العربية القاطنة على حدودها، وتمثل ذلك الحليف في

دولتي المناذرة والغساسنة اللتين اعتبرتا مناطق نفوذ تتسلل من خلالهما هاتان الدولتان إلى شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، فكانت دولة الغساسنة حليفة للإمبراطورية البيزنطية، ودولة المناذرة حليفة للفرس(١١٥).

فلما كانت بلاد الشام تؤلف منطقة الحدود الشرقية في الإمبراطورية البيزنطية، كان على أباطرة بيزنطة أن يهتموا بهذه المنطقة ويعطوها من عنايتهم النصيب الأوفر، ولذلك أغدقوا الأموال على بعض القبائل العربية حتى استطاعوا اتخاذهم صنائع لهم على تخوم البادية، ويستعينون بهم في صد غارات البدو الذين كانوا يغزون المناطق المتحضرة وينهبونها.

وقد اختار الإمبراطور جستنيان (٥٢٧م_٥٦٥م) حوالي عام ٥٢٨م الحارث بن جبلة ليكون بجانبه ضد المنذر ملك الحيرة، وقد رفع جستنيان الحارس إلى مرتبة الملوك وبسط سيادته على كثير من قبائل العرب بالشام حتى يقيم خصماً قوياً في وجه المنذر ملك الحيرة (١١٦).

حالف الغساسنة البيزنطيين محالفة الند للند ضد الفرس والعرب المغيرين على أطراف دولتهم واشترطوا أن يمدوهم بثلاثين أو أربعين ألفاً إذا حاربهم العرب، وأن يمدوا البيزنطيين بعشرين ألفاً من المقاتلين إذا قامت الحرب مع الفرس.

ويمكن القول: إن الغساسنة وقفوا بجانب البيزنطيين في حروبهم مع الفرس في عهد جستنيان الأول، ومن بعده الإمبراطور تيبريوس وموريس، كما لعبوا نفس الدور في عهد الإمبراطور هرقل في حروبه ضد الفرس، ثم ضد الدولة الإسلامية إلى أن فتحت أراضيهم وأسلم معظمهم(١١٧). وأكثر الحروب التي دارت بين الغساسنة والمناذرة كانت بسبب تحالف كل منهما مع عدو الآخر، إضافة إلى اشتراك كل منهما إلى جانب حليفه إذا ما قامت الحرب، إذاً؛ كانت العلاقة بين مملكتي المناذرة والغساسنة في توتر ونزاع مستمر، وسعت كل منهما لبسط نفوذها على القبائل العربية المجاورة، والظهور بمظهر القوي، ولذلك كانت الغزوات لا تنقطع بينهما، ودخل الطرفان في حروب عدة.

وفي العقد الثاني من القرن الخامس الميلادي نشبت حرب بين الفرس والبيزنطيين واشترك فيها المنذر بن النعمان إلى جانب الفرس، وكان ميدانها أرض العراق، حيث قام البيزنطيون بحصار نصيبين، ولكن استطاع الملك الفارسي بهرام إنقاذها، وانتهت تلك الحرب بالصلح(١١٨).

ومع نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي تتقارب وجهات النظر السياسية بين المناذرة والفرس، وخاصة في عهد المنذر الثالث الذي استطاع أن يجعل الإمبراطور البيزنطي يتفاوض معه، عن طريق إرسال وفد لإطلاق سراح قائدين رومانيين كانا قد أسرا، وذلك في سنة ٥٢٤م(١١٩). وتجددت الحرب بين المناذرة والغساسنة في عهد الحارث بن جبلة الغساني والمنذر الثالث بسب ما قام به الحارث من اعتداء بالسلب والقتل على أموال ورجال الحيرة، ما جعل ملك الفرس يتدخل لصالح حليفه المنذر، ويطلب من الإمبراطور البيزنطي أن يأمر الحارث بإرجاع كل ما استولى عليه (١٢٠)، وجرت كل تلك الأحداث سنة ٥٣٨م، لكن الغساسنة شنوا هجومًا آخر على الحيرة سنة ٥٤١م، ثم وقعت معركة حامية الوطيس فقد فيها الحارث الغساني أحد أبنائه سنة ٥٤٤م (١٢١). لكن الأمور سرعان ما تغيرت بحلول سنة ٥٥٤م عندما تغلب الغساسنة على ملوك الحيرة في معركة يوم حليمة التي قتل فيها المنذر الثالث(١٢٢). ثم تم مهاجمة الأملاك البيزنطية في عهد عمرو بن هند الذي خلف المنذر، وذلك على التوالي في سنتي ٥٥٦مو٥٥٧م (١٢٣).

استمر العداء بعد مجيء الحارث بن المنذر الغساني الذي انتهج نهج والده في معاداة اللخميين حلفاء الفرس، وفي سنة ٥٧٠م حدثت معركة بين المناذرة والغساسنة عرفت بيوم أباغ، وكان النصر فيها للمنذر الغساني(١٢٤).

انتهز المناذرة سوء العلاقات بين بيزنطة وحلفائها الغساسنة، وقاموا بشن هجوم على بعض الأراضي التابعة للبيزنطيين، ما جعل البيزنطيين يسعون لتحسين العلاقات، وزيادة التقارب بينهم وبين حلفائهم، ومن ثم اطمأن الغساسنة، فقاموا بهجوم عنيف على مدينة الحيرة، إلا أن الشك بدأ يساور البيزنطيين حول ولاء الغساسنة، فقاموا بالتخلص من الأمير الغساني بنفيه وعائلته إلى صقلية أيام حكم الإمبراطور موريس، وفعلوا مع الابن ما فعلوه مع والده، حتى انقسموا وتفرقوا، وتصدع ملكهم(١٢٥).

والملاحظ أن كل طرف أخذ يسعى للتحالف مع بعض القبائل واستمالتها، حتى يستند إليه، كحليف لحماية مصالحها، والوقوف معها وقت الحرب، كالمحاولة التي قام بها الإمبراطور البيزنطي أثناء حكم السميفع أشوع لجنوب شبه الجزيرة العربية، لتعيين رجل اسمه "قيس" على قبيلة معد، وذلك ليكسبه في صراعه مع الفرس، فيقود قبيلته لمهاجمة الفرس، ولهذا السبب كرر المحاولة مرة أخرى عندما تولى "أبرهة الحبشي" مقاليد الأمور في جنوب شبه الجزيرة العربية(١٢٦)، كما لجأت إلى محاولة

تمليك رجل يدعى "عثمان بن الحويرث"[١٢٧] ليكون يدها اليمنى في المنطقة، لكن أهل مكة رفضوا تمليكه، ولفشل المحاولة البيزنطية في تتويج ابن الحويرث[١٢٨]، انهار آخر أمل في بسط نفوذهم السياسي على شبه الجزيرة العربية وبلاد العرب، وهكذا اتخذت العلاقات العربية البيزنطية طابع الحرب، ومحاولة فرض السيطرة والسيادة في بادئ الأمر، ولكن بعد فشلهم في المحافظة على تلك السيادة من خلال النفوذ الحربي، جنحوا إلى العلاقة السلمية المتمثلة في التجارة.

أما عن علاقة الفرس مع العرب وقبائلهم في القرن السادس الميلادي، فلم يكونوا بأحسن حالًا من البيزنطيين في علاقاتهم بالعرب وقبائلهم، إذ حدثت معركتا يوم ذي قار[١٢٩]، ويوم ذي الصفقة [١٣٠]، بين الفرس والقبائل العربية. فبني يربوع كانوا أكثر القبائل العربية إغارة على مملكة الأكاسرة ومصالحهم، فصالحوهم بأن جعلوا الردافة لهم، شريطة أن يكفوا غاراتهم عن أهل العراق، فعلوا ذلك ليضمنوا عدم تعرضهم لمصالحهم، ويكسبوا ودهم، ومعونتهم[١٣١].

ومن هنا ندرك اهتمام الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، بانضمام القبائل العربية إليها، ومحالفتها؛ لكونها تشكل عاملاً مهماً في تغلب كل طرف على الآخر.

وبذلك تشكلت من خلال الصراع البيزنطي الفارسي، وأثره على عرب الشمال وعلاقاتهم وسياساتهم الداخلية والخارجية، قواعد ثابتة بيّنت طبيعة العلاقات الدبلوماسية بين الأطراف المتصارعة، وحكت التحولات الخطيرة في العلاقات بين الدول التي تتمثل في ميزان القوة، والمصالح المتبادلة، وحب السيطرة والتحكم في الآخر، ولتحقيق الأهداف السياسية، والاقتصادية، والدينية، للأطراف المتنازعة التي ظهرت بشكل واضح في ملامح العلاقات لقطبي الصراع، والتي كانت تتأرجح بحسب القوة العسكرية، والمصالح.

أصبح الطرفان المتصارعان يتسابقان من أجل استمالة عرب وقبائل اشبه الجزيرة العربية لجانبه أ، فأصبحت الصراعات مستمرة بين العرب أنفسهم، وأصبحت طبيعة العلاقات بين العرب تخضع لطبيعة العلاقات البيزنطية الفارسية، وأخذت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها لصالح إحدى القوى العظمى، ما أثر على العلاقات، والنواحي التجارية الاقتصادية للعرب، وأصبح شغلهم الشاغل إرضاء الطرف الذي تحالفت معه، بكل الوسائل والطرق، فأصبح يمارس التهديد، والضغط، وانعدم

الاستقرار، والأمان، في المنطقة، وذلك كله لخدمة الدول العظمى حتى تحافظ على وجودها، وبقاء مصالحها، فالمعارك لن تنتهي والصراع قائم ومستمر؛ لأن الإكثار من استخدام القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية لن تكون له سوى نتائج متصلة بعدم الاستقرار، والتوازن، وهي الحالة التي أصبح المجتمع الدولي يعايشها في ظل المتغيرات الدولية التي استطاعت أن تنعكس على واقع العلاقات بين الدول ومستواها. ومن ثم أسهم هذا الأمر في إيجاد مجموعة من التغيرات التي من خلالها سوف تعتاد المجتمعات على الإنصات للغة وخطابات التهديد والوعيد.

خسرت بيزنطة الشيء الكثير، وفقدت السيطرة السياسية، والاقتصادية على منطقة شبه الجزيرة العربية، بعد فشل السيطرة على مكة وتجارتها، وخروج الأحباش من جنوب شبه الجزيرة العربية. أما الطرف الآخر الفرس فقد كسبوا الشيء الكثير من وجودهم في جنوب شبه الجزيرة العربية، إذا أصبحوا يسيطرون على الطريق البحري التجاري عبر البحر الأحمر الذي عن طريقه يتصلون بالهند، وأصبحت لهم السيطرة الفعلية على الطرق المؤدية إلى الخليج والعراق من ناحية، والشام ومصر والحجاز من ناحية أخرى وهي طرق برية[١٣٢]. لكن الحروب قد أثرت على العلاقات العربية الفارسية، سواء مع القبائل العربية أو مع الممالك العربية بصفة عامة، والشمالية بصفة خاصة، وكانت هذه العلاقات متذبذبة ومضطربة ما بين السلم والحرب.

أما عن تأثر الحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية عامة بما فيها قبائل الشمال، فقد انتقلت عبادة الأصنام إليها عن طريق التجارة، وكانت الأصنام هي عبادة الدهماء العرب ومعظم سادتها، وهي ذات أشكال عديدة، فمنها اللات، والعزى، وهبل، وكلها أصنام كان لهم فيها اعتقادات كبيرة ويتبركون بها. كذلك انتشرت اليهودية هناك قبل مجيء الإسلام، ولاسيما في اليمن، كما انتشرت في القرى وخيبر وتيماء ويثرب.

وانتشرت أيضاً المسيحية هناك في قبائل تغلب وغسان وقضاعة شمالي الجزيرة العربية، وكانت على مذهبين النسطورية، واليعقوبية، وكانت أهم مراكز النصرانية في بلاد العرب نجران،

حيث يعمل أهلها بالزراعة والصناعات الحريرية والتجارة، هذا علاوة على انتشار بعض الديانات والمعتقدات الأخرى، كالمجوسية والصابئة وعبادة الأشجار والحيوان، وكلها عبادات فارسية[١٣٣].

وبعد إلقاء صورة واضحة عن طبيعة العلاقات الدولية من خلال الصراع البيزنطي الفارسي وأثره على عرب شمال شبه الجزيرة العربية ، يمكن القول: إن تلك الأوضاع قد استفاد منها العرب المسلمون الذين ظهروا قوةً ناهضةً جديدة في شبه جزيرة العرب، واستطاعت القضاء على الدولة الساسانية وإنهاء وجودها في منتصف القرن السابع الميلادي.(أنظر الخارطة ٥).

الخاتمة:

مما سبق يتضح لنا أن طبيعة العلاقات الدولية خلال القرنين السادس وبداية القرن السابع الميلاديين اختلفت بحسب ميزان القوى، وميزان المصالح والأهداف، وبحسب الظروف الداخلية والخارجية من قوة أو ضعف التي تمر بها القوى العظمى المتصارعة، فالعلاقات الدولية أصبحت تعبر عن الجانب المتأزم من الوضع الدولي والناتج عن مجموعة من الخلافات والصراعات والمواجهات بين الدول من أجل تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية والانفراد بالسيطرة. فالحروب والنزاعات أصبحت تشكل عائقًا أمام تقدم المجتمعات التي أصبحت تواجه تصارعاً بين القوى، من خلال القرارات العسكرية المفاجئة التي تسهم في تغذية الصراعات وتشجيع سياسة التسلح والتسابق نحو الالتحاق مع أطراف أخرى، وذلك غالبًا ما يتم من أجل السيطرة على أملاك ومقدرات الآخرين ، ومن ثم يجبر الآخرين على الخضوع والاستسلام، واتباع سياسة تتفق مع مصالح الدول القوية دون الاهتمام بمصير السلام والأمن الدوليين.

الإحالات والمصادر والمراجع

(1) لمزيد من التفاصيل انظر: بدوي، محمد طه، **مدخل إلى علم العلاقات الدولية** ، (بيروت، الدار المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧١م). وكذلك طشطوش، هايل عبد المولى، **مقدمة في العلاقات الدولية** ،(د.م، د.ن،٢٠١٠م).

(2) أمين ،أحمد ، **فجر الإسلام** ،(القاهرة، د.ن، د.ت).ص٢٩.

(3) ذكر ابن منظور أن غسان اسم لماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه، ويقال: اسم غسان اسم قبيلة ، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)،**لسان العرب**، ج٢ – ٢٦، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٦م)، مادة غسان.

(4) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٣٤٦هـ) ،**مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج١، بيروت، دار الأندلس، ١٩٧٣م،ص٣٢٣.

(5) خرجت قبيلة أزد من جنوب شبه الجزيرة العربية وتفرقوا، فقسم منهم نزل على الفرات ، وهؤلاء كانوا على عداوة مع الدولة البيزنطية. بيغوليفسكيا،نينا فيكتورفينا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمة: صلاح الدينعثمان هاشم، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٦١م)، ص٥١، وقسم من الأزد نزل مكة وهم قبيلة خزاعة ، وقسم نزل يثرب وهما قبيلتا الأوس والخزرج. ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافري (ت٢١٨ هـ) ؛ **سيرة النبي** ؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ج١، (القاهرة، مكتبة التراث، د.ت)،ص٢١، وقسم آخر نزل الشام ، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جعفر بن داود (ت ٣٠٢هـ) ، **فتوح البلدان**، تحقيق: رضوان محمد رضوان،(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م)، ص ٣٠.

(6) الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ)،**كتاب الأغاني**، ٢٤ جزءًا، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٧م) ، ص ٧٧.

(7) نولدكه، تيودور، **أمراء غسان من آل جفنة** ؛ ترجمة: بندلي جوزي وقسطنطين زريق،(بيروت المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣م)،ص ٤٠.

(8) عباس ،إحسان، **تاريخ بلاد الشام ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي**، (عمان، الجامعة الأردنية ، ١٩٩١م)، ص١٢٦.

(9) Shahid, I. **Byzantium and the Arabs in the Fourth Century**
. Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 1984, p. 384

(10) زيدان ، جرجي ، **تاريخ آداب اللغة العربية**، (القاهرة، دار الهلال، ١٩٥٧م)، ص٢١٨

(11) يدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ص ١٥٤.

(12) نولدكه، **أمراء غسان** ،ص٤.

(13) ابن حبيب، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت٢٤٥هـ)، **المحبر**، تحقيق: إيلزه ليختن شتينز، بيروت، المكتب البخاري للطباعة والنشر، ١٩٤٣م، ص ٣٧١

(14) نولدكه، **أمراء غسان**، ص ٣٠٦

(15) الطيباوي ، عبد اللطيف، **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، (بيروت،د.م،١٩٦٦م)، ص١٣

(16) صالح ، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨م)، ص١٥٨.

(17) جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن ويقال له: قاتل الجوع بن الأزد بن الغوث، حيث ملك خمسًا وأربعين سنة وثلاثة أشهر.

(18) الأصفهاني ، **كتاب الأغاني** ، ص ٧٧.

(19) لمزيد من الفصيل حول ذلك أنظر: ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، **المعارف** ؛ تحقيق : ثروت عكاشة ، ج٢ ، (مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٠م) .ص ٢٠٦.

(20) نولدكه، **أمراء غسان**، ص١٤.

(21)) المرجع نفسه، ص ١١-١٢

(22)) المرجع نفسه، ص١٦.

(23) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(24) لقب " المنذر بن المنذر بن ماء السماء " بالأسود، لم يستمر حكمه طويلاً. المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢، ص٦٩، ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص٢٨٥.

(25) يقع بالقرب من قنسرين، على الطريق بين حلب وحمص، ويُقال: إن يوم حليمة سُمي بذلك نسبة إلى " حليمة بنت الحارث بن جبلة " ؛ حيث قامت بدور كبير في تحميس رجال القبيلة حتى انتصروا. الحموي، ياقوت (ت ٦٢٦هـ)،**معجم البلدان**، ج٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٩٧٩م)،، ص٢٩٦.

(26) عين أباغ: وادٍ يقع وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام. الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٦١.

(27) نولدكه، **أمراء غسان** ، ص٢٦.

(28) Hitti,P.K, **Ahistory of the Arabis**, London,1960.p79.

(29) نولدكه، **أمراء غسان**، ص٣٠-٣٥.

(30) سالم ، عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام**،ج١، (الإسكندرية ،مؤسسة شباب الجامعة، د.ت)، ص٢٩٣.

(31) انظر: ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** (ت ٢٣٠هـ)، ج١، (بيروت، د.ن، ١٩٥٧م) ،ص٢٦٥.المسعودي ، **مروج الذهب**،ج١،ص٨٤-٥٨.

(32) صالح، عبدالعزيز، **محاضرات في تاريخ شبه الجزيرة العربية**، _ مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت) ، ص١٨٨-١٨٩.

(33) سميت بذلك نسبة لكثرة ملوكها الذين حملوا اسم المنذر.

(34) عرف المناذرة بالتنوخيين ، وهم مزيج من قبيلتي قضاعة والأزد، خرجوا من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وذلك بزعامة مالك بن فهم ، وفي البحرين التقوا بقبيلة قضاعة ، واتفقوا على التعاون والتآزر والدفاع عن بعضهم البعض ، ولذلك عرف اتفاقهم هذا بالتنوخ، وهناك انقسموا إلى ثلاث فئات ، منهم قسم اتجه إلى بلاد الحجاز والشام ، وقسم ثان سكن سواحل الخليج العربي، وثالث اتجه للعراق، وهناك

قامت دولة المناذرة، لمزيد من المعلومات عن ذلك انظر: الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٠٦هـ)،**تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، (برلين، مطبعة كاوياني، ١٣٤٠هـ) ، ص ٦٣ -٦٦. ابن الأثير ، **الكامل** ، ص ٣٤٠-٣٤١.

(35) اختلف المؤرخون في تفسير اسم الحيرة ومصدر اشتقاقه، حيث ذهب المحدثون منهم إلى أن معنى مدينة الحيرة في السريانية(المخيم أو المعسكر)، وهي تقابل العسكر عند المسلمين. وهي مدينة عربية قديمة، تتمتع بموقع استراتيجي مهم، وتقع على أطراف الصحراء ، ما جعلها ملجأ تلجأ إليه القبائل العربية عندما تشعر بخطر ما، وتتميز بمناخ لطيف، وكثرة البساتين، كما تتوافر بها المياه العذبة، وأنقاضها تبعد حوالي ٦كم جنوب الكوفة في موقع يعرف بالنجف قريبة من بابل في العراق. لمزيد من التفاصيل حول الحيرة انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ،**تاريخ الرسل والملوك**، ج٢، (مصر، دار المعارف، ١٩٦١م) ، ص٤٣. الحموي، **معجم البلدان** ،ج٢،ص٣٢٨-٣٢٩. نيكلش، رينولد، **تاريخ الأدب العربي وصدر الإسلام**، ترجمة: صفاء خلوصي،(بغداد، مطبعة المعارف ،١٩٦٩م) ، ص٨٠-٨١. علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٣، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م) ، ص١٥٥-١٥٦.

(36) نسبت هذه المملكة إلى التنوخيين، كما عرف ملوكها في كتب تاريخ العرب وآدابهم بالمناذرة، وكذلك أبناء نصر.صالح، محاضرات في تاريخ شبه الجزيرة ، ص ١٧٣.

(37) النصرات، محمد، **تاريخ جنوب الأردن خلال الفترة البيزنطية (٣٢٤-٦٣٦م) من وادي الحسا شمالاً حتى خليج أيلة (العقبة) جنوباً**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م،ص٩٢-١٠٤

(38) من القبائل الهندية الأوروبية ، وسكنت منطقة السهوب بين بحر قزوين وبحر أورال ، نزحت جماعة منهم إلى إيران، واستقرت في إقليم بارتوا، وسمي الفرثيون أيضاً بالارشاقيين نسبة إلى مؤسس السلالة (أرشاق الأول) الذي تمكن من السيطرة على إقليم (بارتوا) وبعض الأقاليم الشرقية الأخرى، كما تمكن من قتل الحاكم السلوقي في إيران عام ٢٤٧ق.م ليكون هذا التاريخ بداية الحكم الفرثي في إيران. للمزيد من التفاصيل انظر: يمان، عامر، **محاضرات في التاريخ القديم**، (الموصل، مطبعة جامعة الموصل،١٩٧٨م) ص ٢٢٣وما بعدها من صفحات،

(39) ابن حبيب، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت٢٤٥هـ)،**المحبر**، تحقيق: إيلزه ليختن شتينز، (بيروت، المكتب البخاري للطباعة والنشر، ١٩٤٣م)، ص٣٥٨-٣٦١، الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص٦٥وما بعدها، المسعودي، **مروج الذهب**، ص ص ٦٥، ٧٤-٧٥، ٨٠-٨١.

(40) ابن عمرو بن عدي بن مارية بنت عمرو " أخت "كعب بن عمرو الأزدي"، يُعرف "بامرئ القيس"، وأول من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة، لقب امرؤ القيس بمحرق العرب، كان محارباً عظيماً، أخضع بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة كقبائل مذحج، ونزار، وأسد، ويرجع إليه النص المعروف بنص(النمارة)، شمل حكمه الفترة من (٢٨٨ م – ٣٢٨ م). اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٨٢هـ)،**تاريخ اليعقوبي**، ج١، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م) ص ١٧٠،ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)،**المعارف** ؛ تحقيق: ثروت عكاشة، ج٢، (مصر، دار المعارف، ١٩٦٠م) ، ص ٢١٨، الأصفهاني ،**تاريخ سني ملوك الأرض**، ص٦٦، الطبري، **تاريخ الرسل**، ج١، ص٨٣٤.

(41) حول النقش انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٢١٨، الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص٦٦، الطبري، تاريخ الرسل، ج١، ص٨٣٤ ، ظاظا، حسن ، **الساميون ولغاتهم**، (الإسكندرية، د.ن.١٩٧١م)، ص ١٦٥-١٧١.

(42) نال شهرة واسعة بين ملوك الحيرة، عُرف بالنعمان الأعور، والنعمان السائح، كان حازماً قوياً، من أشد الملوك ضرباً في الأعداء، كان له كتيبتان هما: الدوسر والشهباء، اهتم بالجيش كثيراً، فكان يتكون من خمس كتائب، كما اهتم ببناء القصور، حكم في الفترة من (٣٩٠ – ٤١٨م). ابن قتيبة، المعارف، ص٢١٨، الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص٦٨، الطبري، تاريخ الرسل، ج١، ص٨٥٣.

(43) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢١٨.

(44) انظر: الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥١٨هـ)،**مجمع الأمثال**، ط٢، (القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٥٩م)، ص١٢٤. العسلي ، خالد صالح، "العلاقات السياسية بين المناذرة والغساسنة " ، **مجلة العرب** ، ج٦، (١٩٧٢م)، ص ٦٩٥.

(45) المنذر بن امرئ القيس "، عُرف عند الإخباريين " بالمنذر بن ماء السماء "، عُرف كذلك بذي القرنين، أمه هي " ماء السماء "، وهي: " مارية بنت عوف بن جشم " كان محارباً شجاعاً، غزا بلاد الروم وبلاد العرب، وكانت له معارك عدة مع العرب منها: يوم حليمة، ويوم أوارة الأول، الذي هزم فيه قبيلة بكر، وأسر " يزيد بن شرحبيل الكندي"، كما أسر عدداً من بكر، وأمر بذبحهم عل جبل أوارة، أما النساء فقد أحرقهن، قتل في موقعة يوم حليمة. ابن قتيبة، **المعارف**، ص٢١٦، الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص٢٧٢، علي، **المفصل**، ج٤، ص٥٣.

(46) أوليندر، جوناز، **ملوك كندة من بني آكل المرار** ؛ ترجمة وتحقيق: عبد الجبار المطلبي، (بغداد، ١٩٧٣م) ، ص ١١٤.

(47) الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص ٧١.

(48) ا بن حبيب، **المحبر**، ص ٣٦٩.

(49) علي ، **المفصل في تاريخ العرب**، ج١، ص ٩٦.

(50) حدث يوم حليمة في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الميلادي حوالي (٥٥٤م) تقريباً ، ذلك أنها حدثت بين " الحارث بن جبلة الغساني " و "المنذر بن المنذر بن ماء السماء، ويُقال إن يوم حليمة سُمي بذلك نسبة إلى " حليمة بنت الحارث بن جبلة " ؛ حيث قامت بدور كبير في تحميس رجال القبيلة حتى انتصروا، للمزيد حول ذلك أنظر: ٢- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الشيباني (ت٦٣٠هـ) ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ؛ تحقيق : محمد صبيح ، ج١ ، (القاهرة، د.ن، ١٩٦٤م) .، ص٥٣٢ – ٥٤٣ . زيدان ، **العرب قبل الإسلام** ، ص١٩٣م

(51) النعمان بن المنذر" أكبر أبناء المنذر بن امرئ القيس، آل إليه أمر الحيرة بعد أبيه، حيث اختاره كسرى من بين إخوته لتولي أمر الحيرة، وقد انتهى به المطاف في المدائن، حيث توفي هناك، بعد أن دبر زيد بن عدي له مؤامرة عند كسرى للخلاص منه، كان حكمه من (٥٨٣ م – ٦٠٥ م). الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص٧٤، الطبري، **تاريخ الرسل**، ج١، ص١٠٢٧ – ١٠٢٩.

(52) انظر تفصيلات ذلك في: ابن الأثير، **الكامل**، ج١،ص ٤٨٢-٤٨٨، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**،ج١، ص ٢١٤-٢١٥، الطبري، **تاريخ الرسل**، ج٢،ص ٢٠١-٢٠٦

(53) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢،ص ٩-١٩.

(54) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ١٦٤هـ)،**الأخبار الطوال**، تحقيق: عبدالمنعم عامر، (القاهرة، دار إحياء الكتب العلمية، ١٩٦٠م) ، ص ١١٠.

(55) انظر: الطبري، **تاريخ الرسل**، ج٣، ص ٣٤٤-٣٤٦، ابن حبيب، **المحبر**، ص ٣٦٠-٣٦١، الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص ٧٤-٧٥، زيدان ،**العرب قبل الإسلام**، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(56) Ostrogosrky. **AHistory** ,p. 46.

(57) يرجع تسمية الساسانيين إلى الكاهن الزرادشتيساسان الذي كان جد أول ملوك الساسانيين أردشير الأول.
الإمبراطورية الساسانية الاسمُ استعملَ للإمبراطورية الفارسية الثانية (٢٢٦ – ٦٥١)، أُسّستْ السلالة الساسانية مِن قِبل الملك أردشير الأول بعد هَزيمة ملكِ البارثيين / الفرثيين الأشكانيين الأخير أرتبانوس الرابع، وانتهتْ عندما حاول ملك الدولة الساسانية الأخير يزدجرد الثالث (٦٣٢ –٦٥١)ا لتصدي للخلافة الإسلامية المبكرة لمدة ١٤ سنة. للمزيد انظر: علي، المفصل في تاريخ العرب،ج١، ص ١٢٩١.

(58) آرثر، كرستنس، **إيران في عهد الساسانيين**، ترجمة: يحي الخشاب، (بيروت، دار النهضة العربية، د.ت)،٤٢٦.

(59) ا نظر: باقر، طه، وآخرين، تاريخ إيران القديم، (بغداد، مطبعة بغداد، د.ت)، ص ١٥٤،

(60) على ، المفصل في تاريخ العرب، ج١، ص ١٣١٥.

(61) للمزيد من التفصيلات انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص ١٧٦،

(62) آرثر، **إيران ، في عهد الساسانيين**، ص ٣٥٠. وباقر، **تاريخ إيران** ، ص ١٠٧.

(63) Ostrogosrky. G.; **AHistory of the Byzantine Sates**. trans. by Hussey, Oxford 1956. P. 27.

(64) تولى الإمبراطور دقلديانوس عرش الإمبراطورية الرومانية سنة ٢٨٤م، وتنازل عن العرش عام ٣٠٥م، عرف ببرنامجه الإصلاحي الشامل الذي شمل الإصلاح في جميع مجالات الإمبراطورية، حدثت في عهدة ثورة دينية من قبل المسيحيين، فقام باضطهادات دينية عنيفة ضد المسيحيين، للمزيد من التفصيلات حول فترة حكمه وإصلاحاته انظر: يوسف، جوزيف، تاريخ الدولة البيزنطية، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤م) ، ص ٢٥-٢٩.

(65) هي قبائل وشعوب كثيرة موطنها الأصلي البلاد المحيطة بالبحر البلطي يسكنون الأكواخ وينشغلون بالحرب أو بالصيد في أوقات السلم، انتهزت هذه القبائل ما حل بالإمبراطورية الرومانية من ضعف وتحركت باتجاه الجنوب وبدأت تهدد حدود الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الثالث الميلادي، ومن قبائلهم: القوط الشرقيون، القوط الغربيون، الألمان، الهون الآسيويون الوندال، الفرنجة. Haldon ,J.F, **Byzantiumin the Seventh Century**, Cambridge, 1997. P.31

(66) Hussey,T.M.; **The Byzantine World**, London 1967. P.13.

(67) الإمبراطورية الرومانية الغربية بالإنجليزية Western Roman Empire، هي النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية بعد أن قام أوكتافيان بتقسيم الإمبراطورية عام ٢٨٦ ؛ وأصبح النصف الآخر من الإمبراطورية الرومانية يُعرف باسم الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ويعرف اليوم على نطاق أوسع بالإمبراطورية البيزنطية.

(68) مصطلح الإمبراطورية البيزنطية هو من اختراع المؤرخين، ولم يستعمل قط خلال مدى عمر الإمبراطورية. ومصطلح "البيزنطية" أتى من اسم مدينة القسطنطينية نفسها "بيزنطة"، ويرجع أصل اللفظة Byzantion اليونانية Buzavntion إلى اسم بلدة قديمة بناها الإغريق على ساحل البوسفور الأوروبي، قبل أن تصبح عاصمة قسطنطين. تسمية الإمبراطورية الرومانية الشرقية بالإمبراطورية "البيزنطية" بدأت في

أوروبا الغربية في سنة ١٥٥٧م.الإمبراطورية الرومانية الشرقية، هو الاسم المعطى إلى الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية بعد تقسيمها في القرن الثالث الميلادي. عاصمتها مدينة القسطنطينية أو (روما الجديدة). وهو يمثل تقسيمًا إداريًا من الإمبراطورية الرومانية، ولكنها نجت بعد سقوط الجزء الغربي من الإمبراطورية الرومانية حتى سقوط القسطنطينية في عام ١٤٥٣. شرق الإمبراطورية كان يطلق عليه أيضاً اسم الإمبراطورية البيزنطية. ومصطلح "الإمبراطورية البيزنطية" بدأ منذ القرن السابع عشر.

(69) يوسف، **تاريخ الدولة البيزنطية**، ص ٦٤.

(70) عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ص٣٧.

(71) لمزيد من التفاصيل حول فترة حكم الإمبراطور هرقل انظر:يوسف، **تاريخ الدولة البيزنطية**، ص ٩٧-١١٦.

(72) ا سمه جايوس فلافيوس ڤاليريوس أورليوس كونستانتينوس (باللاتينية Gaius Flavius Valerius Aurelius Constantinus) هو إمبراطور روماني يعرف أيضًا باسم قسطنطين العظيم ، ولد قسطنطين في نايسوس (حيث تقع اليوم نيس في صربيا). والده كان الجنرال الروماني قسطنطين كلوروس ووالدته كانت هيلانة. وكان أبوه ملكًا على بيزنطة ومكسيميانوس ملكًا على رومه ودقلديانوس على أنطاكية ومصر. وكان وثنيًا، إلا أنه كان صالحًا محبًا للخير، اعتبر حكمه نقطة تحول أساسية في مسار الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية البيزنطية. يوسف، **تاريخ الدولة البيزنطية**، ص ٤٣وما بعدها.

(73) Baynes. N. H., **The Byzantinw Empire**, London 1929, p3.

اختار قسطنطين موقع مدينة بيزنطة القديمة لتكون مكاناً لإقامة مدينته الجديد، لما يتميز به موقعها من حصانة طبيعية ، وموقع استراتيجي هام، وأصبحت تتحكم في الانتقال من أوربا إلى آسيا، ومن البحر الأسود إلى البحر المتوسط، كونها تقع بالقرب من مدخل البسفور. للمزيد حول موقع مدينة القسطنطينية وأهميته أنظر: Maclagan , M.: The City of Constantinople , Ostrogosrky. **AHistory**, p. 41. New York 1968, p. 13.

(74) يعد مرسوم ميلان من أهم الأعمال التي قام بها الإمبراطور قسطنطين ، والذي اعترف بالمسيحية كديانة مشروعة في الإمبراطورية، ويحق لأتباعها ممارسة شعائرهم الدينية كغيرهم من الديانات الأخرى ، من وثنية و يهودية، حول مرسوم ميلان وما تضمنه من تشريعات أنظر: عمران، **معالم تاريخ الإمبراطورية** ، ص ٢٥-٢٨. و Burckhardt , **The Age of Constantine the grreat**, p.125

(75) ساليفان، ريتشارد، **ورثة الامبراطورية الرومانية: الغرب الجرماني_العالم الإسلامي_ الدولة البيزنطية**، ترجمة: جوزيف يوسف، (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م)، ص٢٨.

(76) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، (الإسكندرية، ٢٠٠٠م)، ص١٧.

(77) هو (فلافيوس بتروس ساباتيوسيوستيانوس) كان إمبراطوراً رومانياً شرقياً (بيزنطياً) ، ينسب إليه قانون شهير عرف بقانون جستنيان.

(78) Kaegi ،Walter Emil. **Heraclius**: **emperor of Byzantium**. Cambridge University Press. 2003, pp. 24 – 25

(79) اسمه فلافيوس أغسطس، وهرقل (باللاتينية: Flavius Heraclius Augustus؛ كان هرقل الابن البكر للوالي هرقل الأكبر وأبيفانيا، من عائلة أرمنية الأصل من منطقة كبادوكية، بدأ صعوده إلى السلطة عام ٦٠٨، قاد ثورة ناجحة ضد الإمبراطور فوقاس، الذي تسلّم السلطة بعد خلع الإمبراطور موريس، ودون شعبية تذكر في ظل القلاقل التي عانتها الإمبراطورية. كان والد هرقل، وهو هرقل الأكبر، قائدًا عسكريًا ناجحًا شارك في حروب الإمبراطور موريس، عمل هرقل الأكبر ضابطًا في الجيش الروماني، وساعد الإمبراطور موريس في حروبه ضد بهرام والدولة الساسانية في أواخر القرن السادس، ونتيجة دوره في الحرب عيّنه الإمبراطور بعد نهايتها نائبًا إمبراطوريًا على إفريقيا، ومقر الولاية قرطاج ،حيث قضى هرقل الشطر الأول من حياته فيها، ويعد هرقل مؤسس السلالة الهراقلية التي استمرت بحكم الإمبراطورية البيزنطية حتى عام ٧١١. انظر: Treadgold, Warren. **A History of Byzantine State and Society**. University ofStanford Press. 1997, p. 287.

(80) عبد الجواد ، ليلى ، **الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل** ، (القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٨٥م) ،ص ٤٩-٥٢.

(81) لمزيد من التوضيح انظر: محمد ، عمر يحيى، "بيزنطة وفارس قراءة جديدة لآخر جولات الصراع بين القوتين العظميين في العصور الوسطى"، **مجلة الدرعية**: السنة الثامنة، العدد الثاني والثلاثون، ذو الحجة ١٤٢٦هـ - يناير ٢٠٠٦م

(82) يوسف، **تاريخ الدولة البيزنطية**، ص ٢٧.

(83) حول ذلك انظر: باقر ، **تاريخ إيران القديم**، ص ١٣٠وما بعدها ، محمد "بيزنطة وفارس" ، ص ١١٣-١١٥.

(84) يحيى، **العرب في العصور القديمة** ، ص ٤٣٨.

(85) Cron,Patricia, **MeccanTrad And The Rise of Islam**, Princeton University Press, 1987, p.81.

(86) قام الإغريق بمحاولات في عهد الإسكندر المقدوني لفتح بلاد العرب بهدف السيطرة على التجارة وطرقها، ولكنهم فشلوا، ثم تكررت هذه المحاولة في عهد البطالمة في مصر، حاولوا الوصول بأساطيلهم إلى جنوب المنطقة، وجاء الرومان وأمروا واليهم على مصر بتجهيز حملة تنطلق من مصر للسيطرة على بلاد العرب. الشريف، أحمد إبراهيم، **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول**، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م)، ص ١٥١-١٥٢،

(87) في عهد الإمبراطور أغسطس (أوكتافيوس) جهز عام ٢٥-٢٤ ق م حملة بقيادة أيليوس قالوس دخلت الجزيرة العربية من شمالها الغربي وسارت برًا حتى سواحل البحر الأحمر الجنوبية، وكان نصيبها في نهاية المطاف الفشل، ولكن هذا الفشل دفع الرومان إلى تشجيع الملاحين الرومان على ارتياد الطرق البحرية والوصول إلى الهند مباشرة ، دون الحاجة إلى الوساطة العربية في تجارة الهند والصين. فرح ، أبو يسر، **الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني** ،مصر، عين للدراسات، ٢٠٠٢م ، ص ٣٦,٥٦.

(88) Rabbath, Edmond, **Lorient Chretien AlaVieill de Islam** , Publications de, University Libanase, Beyrauth,(1981).p. 60-68.

(89) علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج١، ص١٧٠ – ١٧١.

(90) Shahid, Irfan," Byzantina Arabica, The Confrence of Ramla,A.D," **Jorunal of Near Eastern Studies**, XXXIII, 1964.p.130.

(91) الأعظمي، علي ظريف، **تاريخ الدولة الفارسية في العراق**، (بغداد ، مطبعة الفرات، ١٩٢٧م) ، ص ٣٣.

(92) كريستنسن، **تاريخ إيران**، ص ٢١٧.

(93) المرجع نفسه، ص ٢٢٣.

(94) المرجع نفسه، ص ٢٢٣- ٢٢٤.

(95) المرجع نفسه، ص ٢٢٧وما بعدها. وأنظر:. Vssiliev, A. **The Byzantine Empire**, **Madiso**n, 1952. P. 67.

(٩٤) اتبعت الدولة البيزنطية سياسة المهادنة مع القوط الجرمان، حيث تمكن الامبراطور ثيودسيوس ، حيث سمح لهم بالاقامة في دولته، وأعفاهم من الضرائب ، وانخرط عدد كبير منهم في الجيش ، كما أما قبائل الهون فقد استطاع الإمبراطور ما رقيان آخر اباطرة أسرة ثيوديوس أن يكسر شوكتهم ، ويضعف هيبتهم ، حتى تفرقوا ، وانهارت دولتهم. Ostrogosrky. **AHistory**, p.48, 55.

(97) Oman Sir C, **A History of the Art of War in the middle Ages** 2 Vols , London 1924, p. 69.

(98) رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، ج١،ط١،(بيروت، دار الكشوف، ١٩٥٥م) ، ص١٩٠

(99) رستم، **الروم**، ص١٩٩-٢٠٠. Bury, J.B, **Ahistory of the Later Roman Empire** , 2 Vols, London, 1923, p. 396.

(100) حول ذلك أنظر: الأصفهاني ، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص٩٠ . و الطبري، تاريخ الرسل، ج٢ ، ص١١٧، ١٢١، ١٥٧.

(101) رستم ،**الروم** ، ص٢٢٣.

(102) محمد ، ""بيزنطة وفارس" ، ص ١٢.

(103) عبد الجواد، **الدولة البيزنطية**، ص ٢١٤، رستم، **الروم** ، ص٢٢٤.

(104) رستم، **الروم** ، ص٢٢٤ – ٢٢٥.

(105) توفيق، عمر كمال، تاريخ الدولة البيزنطية، (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٦٧٧م) ، ص ٩١.

(106) Oman, **A History** , **p. 205**.

(107) Ostrogosrky.. **A History**, p.85.

(108) Cantor, N.F, **Medieval History**, New York, 1964, p. 163.

(109) عبد الجواد ، **الدولة البيزنطية**، ص ٢٠٦-٢٣٠.

(110) كريستنسن، **تاريخ إيران**، ص ٤٣١.

(111) رستم، **الروم**، ص٢٢٧.

(112) الشيخ، **تاريخ الامبراطورية** ، ص٨١

(113)الأعظمي، **تاريخ الدولة الفارسية**، ص ٤٣ وما بعدها.

(114) حول العلاقات العربية البيزنطية أنظر: Irfan Shahid , Byzantintum and The Arabs in the Fourth Century , Washingtron , D.C., 1984.

(115) كانت هاتان الدولتان تمثلان مراكز حراسة على حدود الصحراء، لحماية مصالح الإمبراطوريتين العظميين في تلك المنطقة ،حيث اتخذت إمبراطورية البيزنطيين من دولة الغساسنة درعاً يقيها هجمات البدو على أطراف الصحراء من ناحية، ومن ناحية أخرى ليستعينوا بهم في حربهم ضد الفرس، وفي المقابل أخذ المناذرة يجمعون الضرائب لصالح الفرس كما فعل الغساسنة. للمزيد انظر: نافع، محمد مبروك، **تاريخ العرب لعصر ما قبل الإسلام**، (القاهرة ،د.ن، ١٩٥٢م) ، ص ١١١ - ١٢٠.على،تي،سبتينو،**الحضارات السامية القديمة** ؛ ترجمة: السيد يعقوب بكر، (بيروت، دار الراقي، ١٩٨٦م)، ص ١٢٠٤.

(116) حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج١، (القاهرة، د.ن،١٩٩٦م)، ص ٣٧.

(117) منصور، طارق، بيزنطة والعالم الخارجي: ج١، **البيزنطيون والعالم الإسلامي**، (القاهرة، مصر العربية للنشر، ٢٠٠٣م)، ص ٢٦.

(118) علي، **المفصل في تاريخ العرب**،ج٣، ٢٠٨. سالم، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(119) نولدكة، **أمراء غسان**، ص ١٨. على، **المفصل في تاريخ العرب**، ج٣،ص٢١٩.

(120) حول تفاصيل ذلك انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٢، ص ١٤٩،

(121) نولدكة، **أمراء غسان** ،ص ١٨

(122) لمزيد من التفاصيل انظر: ابن الأثير، **الكامل** ، ج١، ص ٥٤٢-٥٤٨. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٩٦.

(123) ابن حبيب، **المحبر** ، ٣٥٩. سالم ،، ٣٥٠.

(124) ابن الأثير، **الكامل**، ج١،ص ٥٤٠، علي، **المفصل في تاريخ العرب**،ج٣٤١٢،نولدكة،**أمراء غسان**،ص ٢٧.

(125) نولدكة، **أمراء غسان** ،ص ٣٠-٣١، حتي، ص٤٤٩.

(126) علي، **المفصل**، ج٤، ص ١٦٩ - ١٧١. ٣٦٦- Smith, Sidney , " Eventy in Arabia in The 6 The Century A.D." **Bulletin Of The American School of Oriental Research** , XV,1054 P.443.

(127) هو: عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى القرشي، اعتنق الديانة النصرانية بعد تمرده على الوثنية، نال منزلة حسنة عند قصير الروم. ابن هشام، **سيرة ابن هشام**، ج٢، ص١٧٠ - ١٨٠.

(128) كر ابن هشام تفاصيل تلك الحادثة، انظر: ابن هشام ،**سيرة ابن هشام**، ج٢، ص١٧٨- ١٨٠.

(129) حدث هذا اليوم بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بأربعين عامًا، وكان بين الفرس وقبيلة بني شيبان، ذو قار: ماء لبكر بن وائل، قريب من الكوفة، بينها وبين واسط، قيل :"رسم ذي قار"، ذو قار وادٍ بينها فيه الماء، وقيل ذو قار متاخم لسواد العراق. الطبري ،،**تاريخ الرسل**، ج٣، ص١٠٤٣، الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٢٩٣ ، ج٣، ص٣٥٢.

(130) حدث هذا اليوم في النصف الأول من القرن السابع الميلادي بين الفرس وقبيلة بني تميم، سمي بيوم الصفقة، لأن كسرى أصفق الباب على بني تميم في حصن يُعرف بـ (المشقر) ويقال: صفق أي أغلق الباب، وهو حصن بالبحرين، فيقال: يوم المشقر. ابن الأثير ،**الكامل**، ج١، ص٢٧٥ ،الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٣٦٨،،

(131) ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص٦٤٩.

(132) سالم، **دراسات في تاريخ العرب**، ص٢١٤ - ٢١٥.

(١٣٣) منصور، **البيزنطيون**، ص٢٨.